روايات مصرية للجيب

زهور

79

قسوة وغفران



شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

هذه السلسلة ..

عندما تتحولُ حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..

وعندما تجف مشاعرنا وتستحيلُ إلى أغصان يابسة ..

يتوق قلب كل منا إلى الحبِّ .. الحبُّ الذى يروى هذه المشاعر .

فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فتشيع عبيرها الفوّاح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذي طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ - لقاء عائلى ..

طرق الخادم باب الحجرة قبل أن يدلف إلى الداخل ، حيث وجد العجوز جالسًا أمام نافذة غرفته المفتوحة ، وهو يبدو فى حالة استرخاء شديد ، ولم يشأ الخادم أن يزعجه ويخرجه من هذه الحالة .. فوقف لدى الباب مترددًا .

لكن الرجل التفت إليه قائلاً :

ـ هل هناك شىء يا (متولى) ؟

قال له الخادم الذى كان يبدو مماثلاً فى العمر لسيده :

ـ لقد حضر حفيداك .. وهما فى انتظارك بحجرة الاستقبال الآن .

تهللت أسارير الرجل لدى سماعه لذلك .. وهتف قائلاً :

ـ حقًّا ؟ إذن تعال لتساعدنى على الذهاب إليهما .

أسرع الخادم ليساعده على النهوض .. وهو يتجه به نحو الباب .

لكنه استوقفه قائلاً :

ـ انتظر ! دعنى أبدل ثيابى أولاً .. أريد أن أقابلهما وأنا مرتد أفضل ما لدى من الملابس .

وفى حجرة الاستقبال جلس شابان متقاربان فى العمر تقريبًا ، حيث بدت على أحدهما ملامح التوتر والملل ، فى حين بدا الآخر هادئًا تمامًا .

تحدث الأخير إلى أخيه قائلاً :

ـ لقد مضى وقت طويل منذ أن جئنا إلى هنا .

تلفت أخوه حوله قائلاً :

ـ على أية حال إن المكان لم يتغير هنا كثيرًا عما تركناه عليه من قبل .

وما لبث أن استرعت انتباهه صورة معلقة على الجدار ، فنهض ليتوقف أمامها .. وقد وضح أن صاحب الصورة يشبهه إلى حد كبير ..

ارتسمت على وجهه ملامح متباينة .. ما بين التأثر والتقدير وهو يتطلع إلى صاحب الصورة .

وما لبث أن قال على نحو لا يخلو من الانفعال :

ـ لا أدرى .. لماذا يحتفظ بهذه الصورة هنا ؟ نهض

أخوه بدوره ليقف بجواره ، وهو يتطلع إلى صاحب الصورة قائلاً :

ـ إنها صورة والدنا .. وأين تريده أن يحتفظ بصورة ابنه ؟

قال أخوه بنبرة لا تخلو من التهكم :

ـ ابنه ؟!

وتحول إلى صورة أخرى مجاورة لشخص آخر :

ـ يكفيه الاحتفاظ بهذه الصورة .

قال له أخوه بنبرة هادئة :

ـ إن هذا الشخص هو عمنا .. وكلاهما كانا ولديه قبل أن يتوفاهما الله ويرحلا عن الحياة .. لذا فإن كليهما لديه نفس الإعزاز والحب فى نفسه .

قال الأخ الآخر بنفس النبرة المتهكمة :

ـ لا أظن ذلك .. فلم يكن لأبينا نفس الحب و ...

قاطعه أخوه بلهجة صارمة قائلاً :

ـ (هشام) .. هل سنعود إلى هذا الحديث مرة أخرى ؟ لقد أوضحت لك قبل أن تأتى إلى هنا .. أنه يتعين عليك أن تتخلى عن أسلوبك المستفز هذا .. وأن تتوقف عن إثارة أحاديث الماضى .

ـ أنت تعلم جيدًا أننى لم أكن أريد أن آتى إلى هنا ولولا إلحاحك وإصرارك على أن .....

قاطعه أخوه قائلاً :

ـ لو لم ترد أن تأتى .. فما كنت لتأتى .. ولكنك مثلى تشعر بافتقادك لرؤية جدنا .

ـ لولا سوء تقديره وإجحافه بوالدنا (رحمه الله) ، ما كان الحال قد وصل به وبنا إلى هذا الحد من الفقر والحاجة .

قال له أخوه معارضًا :

ـ لم يكن والدنا فقيرًا ولا محتاجًا إلى هذا الحد الذى تحاول أن تصوره ، وكذلك نحن .. فنحن نعيش فى ظروف أفضل من التى يعيشها غيرنا .

ـ حقًا .. يا لها من حياة تلك التى نحياها !

ـ إننا لم نأت إلى هنا لنتناقش فى تلك الأمور .

قال له (هشام) بحدة :

ـ بل لقد جئت إلى هنا من أجل هذا ؟

ـ كنت أظن أنك قد جئت متشوقًا لرؤية جدك .

ـ بل لأننى ....

همس له أخوه قائلاً ، وقد رأى جدهما مقبلاً عليهما بصحبة الخادم متكئًا على عصاه :

ـ اصمت ! جدك قادم .

واندفع نحوه وهو يهتف قائلاً :

ـ جدى ! لقد أوحشتنى كثيرًا !

واحتضنه ، وهو يقبل جبهته ويده .

قال له الجد معاتبًا :

ـ لو كنت أوحشتكما حقًا لكنتما جئتما لزيارتى دون أن تنتظرا دعوتى لكما بالحضور .

قال له (منير) حفيده الأصغر :

ـ أنت تعرف أننى كنت مسافرًا إلى الخارج خلال العامين الماضيين ..

ولم أحضر إلا منذ أسابيع قليلة .

قال الجد وهو يتكئ على ذراع حفيده :

ـ كنت مسافرًا ولم تحضر إلا منذ أسابيع قليلة .. ألم يكن هذا أدعى لكى تأتى لرؤيتى بعد عودتك من السفر ؟ !

ابتسم (منير) وهو يساعده على الجلوس قائلاً :

- معك حق يا جدى .. وآسف إذا كنت لم أفعل ..

نظر الجد إلى (هشام) الذى كان ما زال واقفًا فى مكانه قائلاً :

- وماذا بالنسبة لك يا (هشام) ؟ لا تقل لى إنك أنت أيضًا كنت مسافرًا ... فأخبارك فى (الإسكندرية) تصلنى أولاً فأولاً .

قال (هشام) وفى صوته نبرة تنم عن الجفاء :

هل نسيت أنك أنت الذى طلبت منا ألا نأتى إلى هذا المنزل مرة أخرى منذ خمس سنوات ؟

قال له جده وهو يدير العصا بين يديه :

- آه .. حقًا لقد قلت لكما هذا .. لكنى كنت أظن أنكما ستدركان الأسباب التى دعتنى إلى قول ذلك وقتها .. وأنكما ستأتيان لتعتذرا عما بدر منكما .. ولن تبتعدا بمثل هذه السهولة عن جدكما المسن ولاتبذلا حتى أى جهد من أجل الاطمئنان عليه .

- لقد كنت أحاول الاطمئنان عليك دائمًا عن طريق (عبد السلام) .. فى كل مرة يأتى فيها إلى الإسكندرية .

- على أية حال فيك الخير يا (منير) .. ولو أن

هذا لا يعفيك ولا يعفى أخاك من المسئولية .. فلستما بحاجة للاطمئنان على بوساطة الأغراب .. والسفر من الإسكندرية إلى المنصورة لم يكن ليكلفكما الكثير .

أم كنتما تنتظران من رجل عجوز مثلى أن يسافر هو للبحث عنكما واستعطافكما ؟

- العفو يا جدى .. كل ما هنالك أننا خشينا أن تكون ما زلت غاضبًا علينا .. وأن يؤدى ذلك إلى المزيد من المشاكل ، لكن حينما عرفنا أنك قد رضيت عنا .. وبمجرد أن طلبت منا الحضور إليك لم نتردد لحظة واحدة فى تلبية دعوتك .

بل لا نخفى عليك .. لقد كنا فى انتظار هذه الدعوة منذ فترة طويلة .. لأننا كنا مشتاقين لرؤيتك كثيرًا .

ولولا سفرى لما انتظرت حتى تطلب منا الحضور إليك ، ولأتيت إليك بنفسى ، وطلبت منك الصفح والغفران ..

لم يرفع الجد عينيه عن (هشام) برغم تحدثه مع أخيه ، وبدا وكأنه يراقب تلك الملامح المرتسمة على وجهه :

وما لبث أن قال :

ـ وهل هذا هو ما كان ينوى أخوك أن يفعله أيضًا ؟
ـ بالطبع يا جدى .
لكن الجد ظل يحدج فى (هشام) بتلك النظرة الفاحصة قائلاً له :
ـ أريد أن أسمعها منه .. هل أوحشتك حقًا يا (هشام) على النحو الذى يصوره أخوك ؟
ظل (هشام) مترددًا للحظة .. قبل أن يقول بكلمات متثاقلة :
ـ بالطبع .. يا جدى .
ـ إذن .. لماذا لا تصافح جدك ، وتقبل يده كما فعل أخوك ؟
ظل (هشام) واقفًا فى مكانه ، وأمارات التردد ما زالت واضحة عليه .. بينما أشار له أخوه بأن يتقدم لمصافحة جده وتقبيل يده .
وبعد تردد دام للحظات .. اقترب (هشام) من جده ليصافح يده التى امتدت إليه .. ثم انحنى ليقبلها .
ابتسم الجد قائلاً :
ـ حسن .. بهذا نطوى صفحة الماضى .. ولنفتح معًا صفحة جديدة .. تعاليا لتجلسا بجوارى فوق الأريكة .

جلس (منير) على يمينه ، فى حين جلس (هشام) على يساره ، بينما ظل الجد جالسًا فى منتصف الأريكة ، وهو يحتضن عصاه بين يديه ، وقد خيمت على المكان لحظات من الصمت .. بددها حضور الخادم العجوز ، وهو يحمل صينية عليها أكواب من الشاى قدمها للشابين .
لكن الجد طالب الخادم بإعادة الصينية قائلاً :
ـ ما هذا الذى تحضره لهما ؟ إن هذين الشابين بحاجة إلى كوبين كبيرين من اللبن الدافئ .. بدلاً من هذا الشاى .. ألا ترى اصفرار وجهيهما ونحول جسديهما ؟ إن أحفادى يجب أن يكونوا أقوياء وأصحاء .
ابتسم (منير) وهو يتناول كوب الشاى قائلاً :
ـ حسن .. أظن أننى بحاجة لكوب الشاى هذا الآن أكثر من أى شىء آخر .. أما اللبن فلنؤجله لما بعد .
نظر الجد إلى (هشام) قائلاً :
ـ وأنت يا (هشام) .. هل أحضر لك كوبًا من اللبن الآن ، أم تريد أن تتناوله فيما بعد مثل أخيك ؟
قال (هشام) دون أن يتخلى عن عبوسه :

ـ لا .. شكرًا .. لا أريد أن أتناول شيئًا .
قال له جده ساخرًا :
ـ لا .. شكرًا ؟ وكأنك فى زيارة رسمية لأحد الدواوين الحكومية .. وليس فى منزل جدك .. أى فى منزلك .
وتوجه الجد بحديثه إلى الخادم قائلاً :
ـ اسمع يا (متولى) .. دعهم يعدوا لنا وليمة فاخرة على الغداء ، احتفالاً بقدوم حفيدىّ .. قل لهم أن يطهوا لنا ديكًا روميًا ، وبطتين وثلاثة أزواج من الدجاج .
ابتسم (منير) قائلاً :
ـ ما كل هذا يا جدى ؟
قال له الجد :
ـ لا بد أنكما متشوقان لأطعمة (زمان) التى كنتما تتذوقانها هنا .
قال (هشام) :
ـ فى الحقيقة .. أنا مضطر للعودة إلى الإسكندرية هذه الليلة .

قال له جده بحسم :
ـ بل ستبقى معى هنا أنت وأخوك بضعة أيام .
ـ لكنى مرتبط بعملى فى الإسكندرية .
ـ يمكن للعمل أن ينتظر .. يمكنك أن تتقدم بإجازة للجهة التى تعمل بها .. أما الأمر الذى أريدكما من أجله ، فلا يمكن تأجيله أكثر من ذلك .
وصمت برهة .. ثم عاد ليقول لحفيده :
ـ بالمناسبة .. ما هو العمل الذى تمارسه الآن ؟
ـ موظف بإحدى الشركات التجارية .

والتفت إلى (منير) قائلاً :
ـ وأنت يا (منير) ؟
قال (منير) :
ـ هل نسيت يا جدى أننى أعمل بإحدى الشركات السياحية ؟
ـ آه ! لقد تذكرت .. ولكن لماذا سافرت إلى الخارج ؟
ـ كنت أسعى لتحسين دخلى عن طريق العمل فى أحد البلدان الأجنبية .
ـ وهل وفقت فى ذلك ؟

- إلى حد ما .. لكن الظروف لم تسمح لى بالاستمرار فى العمل هناك ، فاضطررت للعودة .

- حسنًا فعلت .. فوطنك أولى بك .

تدخل (هشام) قائلاً :

- لكن عندما تكون الظروف غير مواتية لكى يحيا المرء حياة كريمة فى وطنه فلا مناص من البحث عن الرزق فى بلدان أخرى .

تدخل (منير) فى الحديث وقد أدرك أن أخاه يلمح لمتاعبهما المادية ، ويريد أن يغوص فى أمور قد تؤدى إلى إثارة المشاكل من جديد مع جدهما ، قائلاً وهو يحاول أن يغير مجرى الحديث :

- ما هو الأمر المهم الذى أشرت إليه ، وقلت إنه لايحتمل التأجيل ؟

- سأطلعكما عليه فى الوقت المناسب .. أما ما أريده منكما الآن .. فهو أن تبقيا معى هنا لبضعة أيام على الأقل خاصة وأن ابنة عمكما ستحضر إلى المنزل غدًا ، وأريد منكما أن تلتقيا بها .

هتف (منير) قائلاً :

- (رانيا) ؟

ابتسم جده قائلاً :

- الحمد لله .. إنك مازلت تذكر اسمها .

قال (منير) متحرجًا :

- وهل من المعقول أن أنسى اسم ابنة عمى ؟

- وهل كان من اللائق أن تقطعا صلتكما بها كما فعلتما معى طوال السنين الماضية ؟

وإذا كان لكما بعض العذر فى مقاطعتى ، لأننى طردتكما من منزلى ذات يوم ، وطلبت منكما ألا تعودا إليه .. فما هو عذركما لمقاطعة ابنة عمكما ، وعدم اهتمامكما بالسؤال عنها ؟

- معك حق يا جدى .. لا عذر لنا .. ربما ظروف الحياة ، وبعض الحساسيات المتعلقة بالماضى .. لكنها لم تغب مطلقًا عن تفكيرى .

نهض (هشام) قائلاً :

- لا أظن اننى سأستطيع أن أبقى هنا سوى يوم واحد ، ويتعين على أن أسافر إلى الإسكندرية صباح الغد .

نظر إليه الجد قائلاً :

- إنك لاترغب فى مقابلة ابنة عمك .. أليس كذلك ؟

- نعم .. ولكن ظروف عملى ....

قاطعه جده قائلاً :

- لا تتخذ من العمل مبررًا .. فقد كان لديك الاستعداد منذ لحظات لأن تقضى أيامًا معى هنا .. لكن حينما علمت بأن ابنة عمك ستأتى لزيارتى أيضًا فضلت ألا تبقى .. أليس كذلك ؟

قال له (هشام) وهو يحدق فى الجدار :

- بلى .

- إنك لا تحبها .. أليس هذا حقيقًا ؟

أجابه (هشام) مجددًا قائلاً :

- بلى .

قال له أخوه معاتبًا :

- (هشام) .. لا تنس فى النهاية أنها ابنة عمنا .

قال له جده ، وهو ما زال ينظر إلى أخيه :

- إنه يكرهها لهذا السبب .

صاح (هشام) بحدة :

- نعم .. بل أكره أى شىء يمت بصلة إلى عمى .. فلن أنسى مطلقًا أنه استولى على حق أخيه .. وجرده من نصيبه فى المزرعة .. التى بذل الجهد والعرق

من أجلها .. لينفقه على حياة اللهو والسفه التى كان يحياها .. وأنه لجأ إلى حيل وألاعيب رخيصة من أجل أن يحرم أخاه من حقه الشرعى والقانونى .. ويتركه للفقر والعوز .. الذى خلفه لنا بعد موته .

وكل ذلك تم بمباركة وموافقة منك ؛ لأنه كان الابن المدلل والأقرب إلى نفسك .

★ ★ ★



٢ ـ حديث الماضى ..

قال (منير) معارضًا :

ـ (هشام) ....

لكن جده قاطعه قائلاً :

ـ انتظر يا (منير) .

ثم استطرد قائلاً ، وهو يوجه حديثه إلى (هشام) :

ـ برغم أننا تحدثنا فى هذا الأمر من قبل إلا أننى سأكرر عليك مرة أخرى ما قلته لك من قبل .

ـ إننى لم أفرق فى المعاملة بين أبيك وعمك .

الاثنان كانا ابنىّ ، وقد أحببتهما بنفس القدر .. ومن فرط حبى لهما جعلتهما يرثانى فى حياتى .. ووزعت عليهما مزرعة الفواكه التى أمتلكها لتكون بينهما مناصفة .

لقد أردت أن ينتفعا من دخلها كلية .. لتكون عوضًا لهما عن عدم استمرارهما فى التعليم .. وحرمانى لهما من إكمال دراستهما من أجل مساعدتى فى إدارة هذه المزرعة والإشراف عليها .

وهكذا ترى أننى قد راعيت العدل والإنصاف بينهما فى حياتهما ، دون أن أجور على حق أحدهما .

أعطيتهما مزرعتى مناصفة بموجب عقد بيع وشراء ، ليكون كل منهما حرًّا فى التصرف فيها ، أو استغلالها على النحو الذى يحلو له ، دون أن أطالب أحدهما بقرش واحد من دخل المزرعة .. فما الذى كان مطلوبًا منى أكثر من ذلك ؟

ـ لكنك لم تقف موقفًا حازمًا من ابنك عندما رأيته يحاول الاعتداء على حق أخيه ، وسلبه نصيبه من المزرعة .

ـ كان الأمر قد خرج من يدى ، وما حدث كان قد حدث بعد تفريط أبيك فى المزرعة من أجل تلك المشروعات الوهمية الخاسرة التى أقنعه بها عمك .

لا أنكر أن أباك كان مجدًّا ومخلصًا فى رعايته ، وإشرافه على نصيبه من المزرعة الذى آل إليه ، بنفس القدر الذى كان عليه حينما كان يساعدنى به فى إدارتها .

لكن والدك يا بنى كان طيبًا ، وحسن النية بأكثر مما ينبغى .

لقد انساق وراء أطماع أخيه وحيله ، برغم أننى حذرته من ذلك كثيرًا ، وبرغم أنه كان يرى بعينيه استهتاره وفساد خلقه ، على النحو الذى أدى به إلى التفريط فى نصيبه من المزرعة ، إلا أنه تخلى له طواعية عن كل شىء .

- إنه ابنك برغم كل شىء ، وقد لجأ إليك لتسانده .. لكنك تخليت عنه وعنا .

- أسانده فى أى شىء ؟ فى أن يناصب أخاه العداء ؟ فى أن أجعله يقاضى أخاه فى المحاكم أم ليمسك له سكينًا ليذبحه ؟

لقد أخطأ عمك فى حق أخيه .. لكن مهما كان خطؤه فهو ابنى فى النهاية .. كما أنه أخوه أيضًا .. وقد حاولت بقدر ما أستطيع أن أخمد الجراح وأن أصلح ما فسد .

- بأن تطرد المظلوم من دارك ، وتحتضن الظالم وتثنيه على جرمه ؟

صاح (منير) :

- كفى يا (هشام) !

قال الجد .

- دعه يا (منير) .. لا بد أن يفهم أخوك الحقيقة كاملة .. أنا لم أطرد والدك من منزلى ، ولم أرضى بابتعاده عنى .

هو الذى ترك المنزل .. وهو الذى أصر على أن يقطع صلته بى وبأخيه ، برغم كل المحاولات التى بذلتها معه .. وبرغم أننى لم ارتكب فى حقه ما أستحق عليه أن يتخذ منى هذا الموقف .. فقد حذرته أكثر من مرة من قبل ، ولم يستمع لنصيحتى .

أما عمك فقد جاء إلىّ ذليلاً محطمًا ، بعد أن أضاع كل شىء وبعد أن ورط نفسه فى ديون ومتاعب لاحصر لها ..

وبرغم سخطى عليه فلم أكن لأستطيع أن أتخلى عنه ، وهو فى هذه الحالة من الانهيار والمذلة .. وبعد أن أصبح مهددًا بالسجن .

لذا كان يتعين علىّ أن أقف معه فى محنته ، لأنى لو لم أفعل ذلك لكان البديل بالنسبة له هو الانتحار .

لقد استطاع أبوك برغم خسارته أن يقف على قدميه مرة أخرى ..

اشترى محلاً صغيرًا بما تبقى معه من نقود و ....

قاطعه (هشام) قائلاً بمرارة :

ـ وباعه فى النهاية ليسدد ما عليه من الديون .

ـ لكنه كان على أية حال أفضل من الحالة التى وصل إليها أخوه .

تدخل (منير) فى الحديث قائلاً :

ـ لماذا تخوض فى كل هذا الآن ؟ ألم نتفق على أن نطوى صفحة الماضى ، ونفتح صفحة جديدة لا مجال فيها لمثل هذه الذكريات المريرة ؟

قال (هشام) :

ـ بالنسبة لى لا أستطيع أن أنسى بسهولة .. كان من الممكن أن نكون أثرياء الآن .. ونحيا حياة أفضل لو لم يستول عمى بالحيلة على نصيب أبى فى المزرعة .

ـ ولماذا لا تقول : لو لم يفرط أبى فى نصيبه وتمكن من الحفاظ عليه ؟

صاح الجد قائلاً :

ـ لِمَ تحمل كل هذا السواد فى قلبك يا ولد ؟

قال (منير) محاولاً تلطيف الجو :

ـ سنبقى فى ضيافة جدى بضعة أيام كما طلب منا ..

وسنرحب بابنة عمنا حينما تأتى غدًا إلى هنا .. أليس كذلك يا (هشام) ؟

صمت (هشام) دون أن يعقب بشىء .

بينما قال لهما الجد بنبرة حاسمة :

ـ اصعدا لتستريحا الآن فى الغرفة المعدة لكما فى الطابق العلوى ريثما يتم إعداد الغداء .

أمسك (منير) بذراع أخيه ليجذبه معه إلى أعلى قائلاً :

ـ أمرك يا جدى .

★ ★ ★

قال (هشام) لأخيه بعصبية ، وهما معًا فى الغرفة :

ـ لا أدرى لماذا تتملق هذا الرجل العجوز هكذا ؟

قال (منير) معاتبًا ، وهو يبدل ثيابه :

ـ أولاً .. أنا لا أتملقه بل أحبه لأنه جدى وجدك .. وهذه هى التسمية الوحيدة ، والتى لا بد أن تذكره بها بدلاً من هذه الكلمة السقيمة (الرجل العجوز) ..

ثانيًا .. لأننى اتفقت معك قبل أن تأتى إلى هنا ؛ ألا نرتكب أية حماقات يمكن أن تتسبب فى إفساد العلاقة

بيننا وبين جدنا بعد هذه القطيعة ، التى لم يكن هناك مبرر لها .

ـ هل نسيت أنه طردنا من قبل من منزله ؟

ـ كان ذلك بسبب تهورك وحماقاتك .

ـ لكنك شاركتنى فى ذلك .

ـ لأننى كنت أحمق مثلك حينما طاوعتك فى تصرفاتك هذه ، أما الآن فلا بد أن ينتهى كل ذلك .

غمغم (هشام) قائلاً لنفسه :

ـ بالنسبة لى لم ينته بعد .

★ ★ ★

صحا (منير) فى ساعة متأخرة .. وأخذ يتقلب فى فراشه للحظات بكسل ، وقد أحس بأنه استغرق فى نوم عميق لم يذق مثله منذ فترة طويلة .

لكن كان لابد أن ينام هذا النوم الهادئ العميق ، بعد تناوله لتلك الوجبات الدسمة التى تناولها بالأمس فى الغداء والعشاء .. وفى ظل ذلك السكون الذى يخيم على المكان هنا .

وشعر بأن النعاس يكاد أن يغالبه من جديد ، فأسرع

بمغادرة سريره .. وهو يلقى نظرة على السرير المجاور بحثًا عن أخيه .. لكنه وجده قد غادره .. فقال لنفسه :

ـ يبدو أن (هشام) قد استيقظ مبكرًا .. لا بد أنه يجلس مع جدى الآن .

ذهب (منير) إلى الحمام وهو يتثاءب .. وفى الطريق التقى بالخادم العجوز ، فسأله قائلاً :

ـ هل يجلس (هشام) مع جدى يا عم (متولى) ؟

أجابه الخادم قائلاً :

ـ (هشام) بك سافر منذ الساعات الأولى للصباح .

نظر إليه (منير) بانزعاج قائلاً :

ـ سافر ؟!

أجابه الخادم قائلاً :

ـ نعم عاد إلى الإسكندرية .

ارتسمت ملامح الضيق على وجه (منير) .. لكنه ما لبث أن توجه إلى الحمام قائلاً :

ـ حسن .. سأتناول الفطور مع جدى بعد أن أنتهى من حمامى .

قال له الخادم :

ـ جدك تناول الإفطار منذ ساعتين تقريبًا مع الآنسة (رانيا) .

هتف (منير) قائلاً :

ـ (رانيا) ؟ هل هى موجودة هنا ؟

ابتسم الرجل قائلاً :

ـ منذ الصباح .. لقد حضرت إلى المنزل فى ساعة مبكرة .

ـ هل التقت بـ (هشام) ؟

أجابه الرجل قائلاً :

ـ كلا .. لقد غادر المنزل قبل أن تحضر .

ارتسمت ملامح الارتياح على وجهه لدى سماعه ذلك ، وهو يهمس قائلاً :

ـ الحمد لله !

سأله الخادم :

ـ هل أعد لك الفطور ريثما تنتهى من حمامك ؟

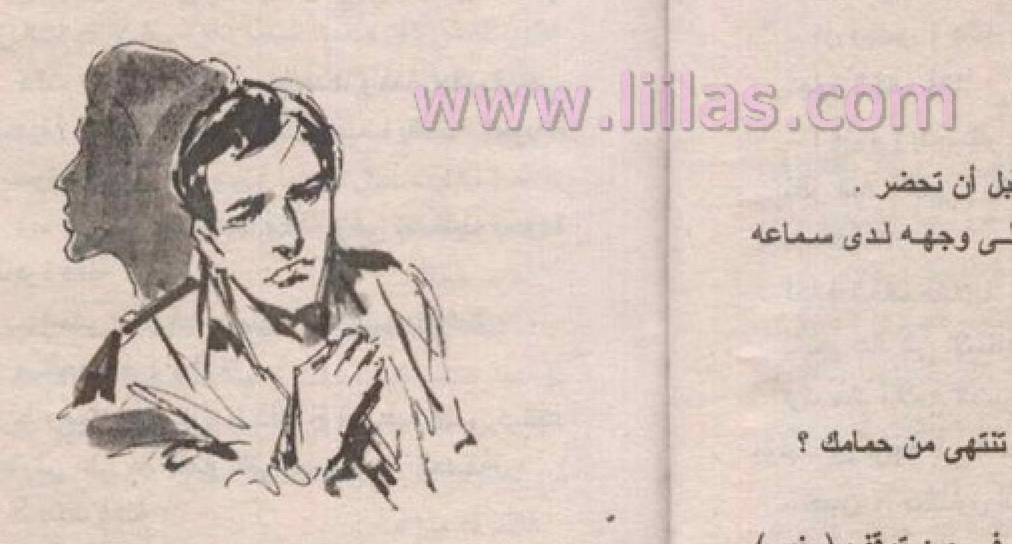
ـ نعم يا عم (متولى) .

وذهب الرجل لإعداد الفطور فى حين توقف (منير)

للحظة أمام باب الحمام ؛ وهو يبتسم لنفسه ، وكأنه يستعيد ذكريات قديمة قائلاً بهمس :

ـ (رانيا) .. ترى كيف أصبح شكلها الآن ؟ وهل ما زالت تذكرنى ؟

★ ★ ★



٣ ـ دائمًا فى قلبى ..

توقف عند رؤيتها ، وأخذ يحدق فيها من بعيد ، وهو يقول لنفسه :

ـ نعم .. إنها هى ... نفس الفتاة الرقيقة الناعمة التى استحوذت على مشاعرى وأفكارى من قبل .. لكنها ازدادت جمالاً .

كانت (رانيا) تتحدث مع جدها وهما جالسان فى الحديقة ، عندما رأته مقبلاً عليهما بقامته الطويلة وسمرته المحببة .

وما إن رأته حتى هبت واقفة وهى تستقبله بمودة ظاهرة قائلة :

ـ (منير) .. أنت (منير) ؟. أليس كذلك ؟

صافحها بحرارة قائلاً :

ـ وأنت (رانيا) .. الفتاة الشقية التى كانت تستولى على كل الثمار التى أجمعها من الحديقة .

ضحكت قائلة :

ـ هأنتذا ترى أننى قد تعرفتك على الفور .

ابتسم لها قائلاً :

ـ لا أظن أن الخمس أو الست سنوات الماضية يمكن أن تغير من ملامحى كثيرًا .

نظرت إليه قائلة :

ـ بل تغيرت .. فقد كنت أكثر نحافة من قبل .. كما أنك كنت أقصر قامة مما أنت عليه الآن .

ضحك قائلاً :

ـ أكثر نحافة ربما .. لكن أقصر قامة .. لا أظن .. فطول قامتى كان مكتملاً تمامًا آخر مرة رأيتك فيها .

قالت له (رانيا) بشقاوة :

ـ وأنا .. قل لى بصراحة ...

ثم استدارت حول نفسها قبل أن تستطرد قائلة :

ـ هل وجدتنى مختلفة عن ذى قبل ؟

ابتسم قائلاً :

ـ هناك اختلاف كبير بالطبع .. فالفتاة التى التقيت بها منذ ست سنوات كانت تلميذة صغيرة فى الرابعة عشرة من عمرها ، أما التى أراها أمامى الآن ، فهى فتاة فى العشرين من عمرها مكتملة الأنوثة .. وأكثر جمالاً .

قالت له مداعبة :

- هل اعتبر هذا إطراء أم غزلاً يا بن عمى العزيز ؟

ضحك جدهما وهو يدعوهما للجلوس قائلاً :

كم كنت أفتقد هذه الروح المرحة التى عدتما لبعثها فى منزلى .. هيا تعاليا لتجلسا مع جدكما .. أم ستظلان واقفين تحدقان فى بعضكما هكذا ؟

قَبّل (منير) يد جده ، وهو يجلس إلى جواره قائلاً :

- صباح الخير يا جدى .

قالت (رانيا) :

- تقصد مساء الخير .. فنحن نقترب من وقت الظهيرة يا أستاذ .. يبدو أنك قد تعلمت الكسل .. برغم أنه فى المرة الأخيرة التى رأيتك فيها ، كنت تعمد إلى صب الماء على رأسى فى الصباح الباكر لتجبرنى على الاستيقاظ من النوم .

- وأنت كنت تعمدين إلى تقليد أصوات الطيور المزعجة لتوقظينى من نومى فى أثناء الظهيرة .

سأله جده قائلاً :

- هل تناولت إفطارك ؟

- لقد طلبت من عم (متولى) أن يحضره لى هنا .

والتفت إلى (رانيا) ليتابع حديثه معها باهتمام قائلاً :

- دعينا الآن نتحدث حديثًا جديًا .. متى وصلت ؟

- فى الثامنة صباحًا .

- إننى سعيد برؤيتى لك بعد كل هذه السنين التى فرقت بيننا .

- وأنا أيضًا سعيدة برؤيتك يا (منير) .. لكن لابد أن تعترف بأن السنين ليست هى المسئولة عن افتراقنا على هذا النحو .. بل نحن الذين تباعدنا دون سبب واضح .

أو بمعنى أدق : أنت وأخوك اللذان اتخذتما هذا الموقف منى ، ومن جدكما دون ذنب نسأل عليه .

تدخل الجد فى الحديث قائلاً :

- لقد اتفقنا على أنه لالوم ولا عتاب من أى نوع .

قال (منير) :

- نعم .. فلننس سنى الجفاء هذه .. ما دمنا قد عدنا لنلتقى .. ويكفى أننا معًا هنا الآن .

سألته قائلة :

- وأين ذو الوجه العبوس ؟

ـ من تقصدين ؟
ابتسمت قائلة :
ـ وهل هناك غيره ؟ أخوك (هشام) .
ـ (هشام) .. ذو الوجه الـ .... ؟
وأطلق ضحكة عالية شاركه فيها الجد .
ثم استطرد قائلاً :
ـ لقد نسيت أنك كنت تلقبينه دائمًا بهذا الوصف .
ـ لأنه كان دائمًا يرسم تقطيبة على جبينه كلما رآنى .. ولا أدرى لماذا ؟
ـ لكن من الغريب أنك ما زلت تذكرين هذه العبارة التى كانت تثير دائمًا غضبه .
ـ ومستعدة أن أقولها له حين أراه .
ـ أظن أنه سيتقبلها عن طيب خاطر هذه المرة .. خاصة عندما يسمعها من فتاة جميلة مثلك .
ضحك الجد قائلاً :
ـ لا يمكنك التنبؤ بذلك .. فقد رأيت هذا العبوس على وجهه بالأمس ، ومال على الفتاة وهو يستطرد قائلاً :

ـ وإن كان لا يخلو من وسامة .
ـ على أية حال .. إننى متشوقة لرؤيته .
قال (منير) :
ـ لقد سمعت أنه قد سافر إلى الإسكندرية فى ساعة مبكرة من صباح اليوم .
قال الجد .. وقد بدت على وجهه ملامح الاستياء :
ـ نعم .. وقد أخبرنى أنه مضطر للسفر لكى يتفق مع زميل له على تقديم الإجازة .. وأنه سيعود مرة أخرى هذه الليلة .
وأطلق زفرة قصيرة .. ثم استطرد قائلاً :
ـ لكن أظن أنه لن يعود .
ابتسم (منير) قائلاً :
ـ ما دام قد وعدك أنه سيعود فلا بد أنه سيفى بوعده .
ـ أرجو ذلك .
قالت (رانيا) :
ـ ربما أنه لا يريد أن يرانى .
تطلع إليها (منير) وفى عينيه نظرة إعجاب واضحة قائلاً :

ـ كيف تقولين ذلك ؟ لقد كنا متشوقين لأن نراك .

ـ لا أظن أن هذا هو نفس شعور (هشام) .. فقد كنت أشعر دائمًا بأنه لا يحبنى .

ـ (هشام) تغير كثيرًا عما كان عليه من قبل .. تأكدى أنه لا يقل عنى إعزازًا .. لابنة عمه .

تنهدت (رانيا) قائلة :

ـ أتمنى ذلك .

★ ★ ★

قضى (منير) بقية اليوم فى صحبة ابنة عمه .. وقد جدد هذا اللقاء بالنسبة له مشاعر قديمة كان يحسها نحوها .

فهى الفتاة الوحيدة التى جعلته يشعر معها بذلك النوع من الأحاسيس الدافئة .. التى لم يجد مثلها تجاه أى فتاة أخرى التقى بها وتعرفها .. وبرغم أنه لم يلتق بها منذ ست سنوات مضت إلا أنه كان يتذكرها دائمًا ، ويسترجع تلك الذكريات الجميلة التى ضمتهما معًا فى هذا المنزل ، وفى المزرعة كانت أجمل فترة مرت فى حياته .

وكان غباء منه أن ينساق وراء أخيه ويبتعد عنها

كل هذه السنين .. لكن .. لا بد أن يعترف أن أخاه لم يكن هو المسئول الوحيد عن ابتعاده عنها وفراقه لها .

لقد كان إحساسه نحوها يتجاوز بكثير صلة القرابة التى تجمع بينهما .

وهو إحساس نما فى نفسه تدريجيًا .. وأدرك أنه مندفع وراء عاطفة مجهولة تجاه هذه الفتاة الصغيرة التى لم تتجاوز الرابعة عشرة من عمرها .

وأحس وقتها بشىء من الحرج تجاه هذه العاطفة .. فقد وجد أنه بالنسبة لشاب جامعى يوشك على التخرج ، وقد تعدى سن الرشد .. فإنه ليس من اللائق أن ينساق وراء مشاعره تجاه فتاة ما زالت فى مرحلة الدراسة الإعدادية .

وبدا له أنه ليس مقبولاً بالنسبة لشاب ناضج مثله ، أن يصرح لابنة عمه الصغيرة بأنه يحبها .. وأن أحاسيسه نحوها تختلف عن أية أحاسيس أخرى يحسها تجاه أى فتاة من زميلاته .. ممن هن فى مثل عمره أو يصغرنه بسنوات قليلة .

وحتى لو كانت قد تجاوبت معه فى أحاسيسه هذه .. واعترف له بأنها هى الأخرى تحبه .. وتحمل له نفس

العاطفة التى تسللت إلى قلبه برغمه . فلم يكن ليمكنها أن تحكم على هذه المشاعر حكمًا صحيحًا ، وهى فى هذه السن الصغيرة .

كما أنه كان يتعين عليه ألا يثق بأن هذه المشاعر حقيقية .. وأنها يمكن أن تدوم .

ففى هذه المرحلة من العمر تكون المشاعر متقلبة .. وقابلة للتغير دائمًا مع تغير الظروف ، ومرور السنين .

لذا فقد ارتضى أن يقطع صلته بها .. وأن يتغلب على عاطفته نحوها .. ليجمدها عند هذا الحد معتمدًا على أن الزمن كفيل بأن يمحو هذه العاطفة من قلبه ..

إذا كانت مجرد عاطفة عابرة .. خلقتها ظروف الفراغ فى هذا المكان ، والتعود على مصاحبته لها .. أو كان مجرد إعجاب شديد بفتاة جميلة تآلف معها فى فترة من فترات حياته ، ثم انتهى الأمر .

وبعدها يمكن أن يلتقى بها من جديد بمشاعر جديدة .. أو بمشاعر صحيحة .. مشاعر ابن العم تجاه ابنة عمه .

أما إذا وجد أنه ما زال يحمل لها نفس العاطفة القديمة ، وأنها لم تكن مجرد عاطفة هوائية أو إعجابًا

عابرًا .. فإنه يستطيع أن يعبر عن عاطفته هذه بشكل أوضح ، ويتلقى ردًا أصدق .

★ ★ ★

ومرت السنون دون أن يلتقيا .. أحيانًا كان يظن أنه قد نسيها وأنها قد غابت تمامًا عن قلبه وتفكيره .. وأحيانًا أخرى كانت تقفز إلى خياله وتحرك فى قلبه بعضًا من هذه المشاعر القديمة ، التى هدأت مع مرور الزمن .. لكنه لم يستطع أن يمحوها تمامًا .

نعم .. إن (رانيا) ما زالت فى عقله وقلبه .. برغم أنه أحيانًا كان يحاول أن يؤكد لنفسه عكس ذلك .

لم يستطع ذلك العداء الموروث بين أبيه وأبيها ، وبين أخيه وبينها ، ولا ابتعاده عنها هذه السنوات الطويلة أن يبعدها تمامًا عن تفكيره .. وأن يخلصه نهائيًا من تلك المشاعر التى لم يعرفها إلا معها .

فالشىء الأكيد فى حياته أنه لم يلتق حتى الآن بأى فتاة أحس معها مثل تلك المشاعر .

وعندما عاد إلى حجرته بعد أن ظل طوال الوقت معها ، وفى صحبتها .. كان من المؤكد لديه أنه لن يعرف تلك المشاعر إلا معها .

وأنه إذا كان قد ظن فى فترة من الفترات أن

عاطفته نحوها قد خمدت ، فإنه كان مخطئًا تمامًا فى ظنه هذا .

فمثل هذه العاطفة لا يمكن أن تخمد .. لأنها أقوى مما كان يتصور .. وأصدق مما كان يظن .

ربما أنها كانت نائمة نومًا إجباريًا فى قلبه لأنه أراد لها ذلك ، وسعى إليه ، لكن ها هى ذى قد عادت واستيقظت بأقوى مما كانت عليه .. عندما التقيا من جديد .

وتمدد فوق فراشه جالسًا ، وقد عقد يديه خلف رأسه وارتسمت على وجهه ابتسامة حالمة .

فاليوم الذى قضاه معها .. جدد لديه تلك المشاعر القديمة . والفتاة الصغيرة التى أحبها .. صارت أكثر نضجًا ، وأكثر جمالاً .

ولم يعد هناك ما يحول الآن دون أن يعبر لها عن حبه ، وعن مشاعره القوية نحوها .

نعم .. إنها الفتاة الوحيدة التى أحبها .. وعليه أن يعترف لها بهذا الحب الذى رفض الاعتراف به طوال السنوات الماضية .

ولكن فجأة تنبه ، وكأنه قد نسى شيئًا كان قد غاب عن باله قائلاً لنفسه .

ـ ولكن .. ماذا لو كانت مشاعرها مختلفة ؟ وكيف يمكننى أن أحكم على تلك المشاعر ، وأنا أجهلها تمامًا ؟

وحاول أن يشجع نفسه قائلاً :

ـ ولكن دفء الصلة التى تربط بيننا ، والتى استعدناها سريعًا حينما التقينا من جديد تدل على أن ....

وصمت برهة .. وهو يحاور نفسه قائلاً :

ـ تدل على ماذا ؟ إنها لاتدل على شىء سوى حرارة اللقاء الذى يجمع بين ابنى العم .. اللذين فرقت بينهما السنون .. ربما لا أكثر من ذلك ، هل تريد أن تعترف لها بأنك أحببتها ، وهى ما زالت فتاة صغيرة فى الرابعة عشرة من عمرها .. وأنك ما زلت تحتفظ لها بهذا الحب ؟ وماذا لو صدتك أو أدى ذلك الاعتراف إلى إفساد الصلة التى عادت لتتوطد بينكما ؟

وماذا لو أن تسرعك فى التعبير عن هذه المشاعر أدى إلى إثارة الحساسية بينك وبين ابنة عمك ؟ وأدى إلى تحفظات قد تنتهى بالجفاء ؟

إنك على الأقل لا تريد أن تحرم من هذه الصلة التى عادت وتجددت . لذا يتعين عليك ألا تتسرع فى التعبير

عن مشاعرك .. ولتترك لها ولنفسك الوقت الكافى .. قبل أن تصرح لها بعاطفتك نحوها .. وبأنها الإنسانة التى اختارها قلبك منذ سنوات طويلة .

وأغمض عينيه قائلاً لنفسه :

ـ آه .. يا (رانيا) كيف تركتك تبتعدين عنى كل هذه السنين ؟ إننى الآن ، وبعد أن رأيتك أجد أنك لم تغيبى عن وجدانى لحظة واحدة .

وأنك بوعى منى أو بدون وعى لم تفارقينى قط ..

★ ★ ★





٤ـ شخص فى خيالى ..

عاد (هشام) فى ساعة متأخرة من الليل ، حيث أخذ يطرق البوابة الخارجية لمنزل جده دون أن يفتح له أحد .

وكان الهواء عاصفًا فى الخارج على نحو جعله لايقوى على الانتظار .. فقام بتسلق السور المحيط بالمنزل ليقفز إلى الداخل .

وما إن استقرت قدماه على الأرض حتى أسرع يركض فى اتجاه الباب الداخلى للمنزل ، مجتازًا الحديقة المحيطة به .

وطرق الباب قائلاً لنفسه :

ـ أرجو أن يسمعنى أحد هذه المرة .. وألا يتركونى واقفًا هكذا أمام الباب حتى الصباح .

لكن بصيصًا من الضوء انبعث من الداخل .. وما لبث أن فتح الباب ، وقد ظهر من ورائه الخادم العجوز ، قائلاً : وهو يدقق النظر :

ـ من ؟

أجابه (هشام) بضيق :

ـ أنا يا عم (متولى) .. كل هذا الوقت لتفتح الباب ؟

قال له الرجل : وقد اقشعر جسده من جراء تيار الهواء الذى اندفع من الخارج لدى فتحه الباب :

ـ أستاذ (هشام) .. لماذا تأخرت هكذا ؟

قال (هشام) متبرمًا :

ـ وما شأنك أنت ؟ هل ستحاسبنى ؟

ـ العفو يا بيه .. لكن الحاج انتابه القلق بشأنك .. وقد ظن أنك لن تحضر فى النهاية .

لقد اضطررت لتسلق سور المنزل لأن أحدًا لم يفتح لى البوابة الخارجية .

ـ لا بد أن (سليمان) كان نائمًا .

ـ ما فائدة أن يكون حارسًا للمنزل إذن .. ما دام ينام فى الوقت الذى يتعين عليه أن يكون مستيقظًا فيه ؟

ـ لقد تقدم فى العمر يا سيدى .

ـ هل (منير) نائم فى حجرته الآن ؟

أجابه الخادم :

ـ نعم .. لقد صعد إلى غرفته منذ ساعتين تقريبًا .. هل أعد لك العشاء ؟

ـ كلا .. لقد تعشيت .. اذهب أنت لتنام .

ـ تصبح على خير يا سيدى .

كانت (رانيا) نائمة فى حجرتها ، وقد تدثرت بغطائها ، حينما اندفع تيار قوى من الهواء ليدفع ضلفتى النافذة المغلقة ، فيفتحها بعنف محدثًا صوتًا عاليًا .

هبت من فراشها فزعة حيث كانت الغرفة غارقة فى الظلام ، وقد أزعجها صوت اندفاع ضلفتى النافذة .. وتلك الرياح القوية التى أحدثت صريرًا داخل الحجرة .

فأرسلت صرخة خافتة ، وهى تقفز من فوق سريرها ، وقد انطلقت فى ثياب النوم لتفتح باب الحجرة مندفعة إلى الخارج .

وما لبثت أن رأت أمامها شبح شخص غير واضح المعالم ، فأسرعت لتلقى بنفسها بين ذراعيه دون تردد ، وقالت له بصوت متقطع من الخوف :

ـ إننى .. إننى .. إننى خائفة .

صمت ذلك الشخص ، وقد فوجئ بتصرفها الغريب هذا .. لكنه ما لبث أن قال لها بصوت هامس :

ـ مم تخافين ؟

تنبهت ، وقد ذهب عنها الروع لتفتح عينيها اللذين كانت قد أغمضتهما ، وهى تنظر إلى الرجل الذى ألقت بنفسها بين ذراعيه قائلة :

ـ من أنت ؟

قال لها بدوره بعد أن زالت عنه دهشته :

ـ أظن أنه يتعين علىّ أنا أن أسألك هذا السؤال .

قالت له سريعًا .. وهى تتراجع إلى الوراء :

ـ لص ! لا بد أنك لص !

وهمت بالصراخ .. لكنه أسرع بوضع يده على فمها ليمنعها من ذلك قائلاً :

ـ أرجوك لا داعى للصراخ حتى لا توقظى كل من فى المنزل .. فأنا لست بلصّ .

وقد علمت من أنت الآن .. فلا بد أنك (رانيا) .. ابنة عمى .. إذن كونى مطمئنة لأننى أيضًا ابن عمك وحفيد صاحب هذا المنزل .

وأبعد يديه عن شفتيها قائلاً :

ـ أظن أنه لا داعى لإحداث ضجيج الآن .

هتفت قائلة :

ـ (هشام) ! أنت (هشام) ؟

ـ نعم .. أنا هو .

عادت لتقول :

ـ ذو الوجه العبوس !

قال لها .. وقد تملكه الضيق :

ـ أما زلت سليطة اللسان ، كما عهدتك من قبل ؟

قالت له ضاحكة :

ـ ألا تقول لى حمدًا لله على سلامتك أولاً ؟

قال لها مغمغمًا :

ـ حمدًا لله على سلامتك .

وفى تلك اللحظة ارتطمت ضلفتا النافذة بالجدار من قوة اندفاع الهواء مرة أخرى .

فقال لها ، وهو يندفع إلى داخل حجرتها :

ـ كيف تنامين والنافذة مفتوحة هكذا فى يوم عاصف كهذا ؟

قالت له : وهى تتبعه إلى الداخل :
- يبدو أنها لم تكن مغلقة بإحكام .. لقد استيقظت فزعة على صوت ارتطام الضلفتين بالجدار .. واندفاع تيار الهواء إلى الداخل .
قال لها .. وهو يحكم إغلاق النافذة :
- إنه مناخ غريب بالنسبة لهذا الوقت من السنة .. فالرياح قوية فى الخارج بالفعل .
أضاءت (رانيا) نور الحجرة فى اللحظة التى استطرد فيها قائلاً :
- لقد أحكمت إغلاق النافذة .. و ....
وتوقف عن متابعة حديثه ، وهو ينظر إليها بدهشة ..
كانت عارية القدمين مرسلة الشعر .. لكنها برغم ذلك كانت تبدو جميلة على نحو لم يتبينه من قبل .
وبدا له أنها تختلف كثيرًا عن تلك الفتاة الصغيرة المشاكسة التى عرفها من قبل .
فظل يحدق فيها لبرهة من الوقت .. ثم قال :
- لقد تغيرت كثيرًا .. حتى إننى كدت ألا أعرفك .
تأملته بدورها قائلة :

- أنت أيضًا تغيرت كثيرًا عن ذى قبل .. ولو أنى بالتأكيد كنت سأعرفك ..
ظل صامتًا لبرهة .. ثم ما لبث أن أحس بالخجل لوجوده فى حجرتها على هذا النحو ، وهى بثياب النوم .
فقال لها متلعثمًا :
- يمكنك أن تعودى إلى النوم الآن .
ثم أسرع بمغادرة الحجرة ، وهو يردف قائلاً :
- تصبحين على خير .
سألته قائلة قبل أن يذهب :
- هل سأراك فى الصباح ؟ أم أننى سأجدك قد رحلت عن المنزل مرة أخرى ؟
قال لها مرتبكًا :
- بل سأكون موجودًا .
قالت له بسرور :
- حسن إذن سنتناول الإفطار معًا .
- إن شاء الله ..
- أشكرك .
- إننى لم أفعل شيئًا لتشكرينى عليه .

ـ بل هدأت من روعى وساعدتنى على إغلاق النافذة .

عاد ليقول لها قبل أن يبتعد عن حجرتها .

ـ تصبحين على خير .

أغلقت باب الحجرة خلفه ،وهى تستند إليه بظهرها ، وقد أغمضت عينيها فى حين ارتسم طيف ابتسامة على وجهها .

قالت لنفسها :

ـ لقد تغير (هشام) بالفعل .. أصبح جسده أكثر صلابة .. ووجهه أكثر وسامة ..

لكن أهم ما جذب اهتمامها إليه هى تلك المعاملة الحانية التى عاملها بها ..

لقد كان عطوفًا .. وتمكن من تهدئة روعها سريعًا بنبرات صوته الدافئة التى بعثت فى نفسها الإحساس بالأمان .

واهتمامه بالاطمئنان عليها ، ومساعدته لها فى إغلاق النافذة .

كل تلك الأشياء الصغيرة برغم بساطتها لم تكن تعرفها فيه من قبل ..

وتركت أثرًا سريعًا وقويًا فى نفسها .

لقد تساءلت كثيرًا من قبل عن حقيقة مشاعرها نحو (هشام) .. فقد كان بينهما دائمًا خلافات دائمة بلا سبب واضح .

خلافات لم تسع هى إليها ولم تفهم سببها .

كانت تعرف أن هناك مشكلات بين عمها ووالدها .. وأن هذه المشكلات أدت إلى وجود قطيعة بينهما .

لكنها ظنت أن هذه الأمور قد ولت وانتهت .. وأن هذه المشكلات لن يكون لها تأثير على علاقتها بأبناء عمها .

خاصة أن جدها حاول أن يقرب بينهما كثيرًا ، وكان حريصًا على أن يقضوا الإجازة الصيفية فى منزله .

وقد وجدت من (منير) استعدادًا فعليًا لحدوث هذا التقارب .. فقد كان دائمًا أكثر لطفًا ومودة لها .. قبل أن يفترقا كل هذه السنين التى مضت .

أما (هشام) فقد كان يتعامل معها دائمًا بخشونة .. ويرفض أى محاولة لوجود تقارب حقيقى .

كان يتعمد الابتعاد عنها .. وأحيانًا كان يبدو فظًا فى معاملته لها .. لكنه لم ينس أنها ابنة عمه .

ولن تنسى دفاعه عنها حينما تعرض لها بعض الصبية وهى صغيرة .. وكيف تشاجر معهم على نحو أدى إلى إصابته بجرح فى ذقنه .. حتى أجبرهم على الفرار من أمامه ، وهو يتوعدهم لو حاولوا التعرض لها مرة أخرى ..

لقد أحست نحوه بعاطفة قوية منذ هذا اليوم .

أحبت فيه رجولته المبكرة .. ودفاعه عنها واهتمامه بحمايتها برغم فظاظته معها وتجاهله لها أحيانًا .

حاولت أن تتقرب إليه بعد هذه الواقعة على نحو أكثر من ذى قبل ، لكنه عاد لجحوده نحوها ، وأصر على أن يكون هناك تباعد بينهما .

لكنه أعاد إليها هذه الليلة ذلك الإحساس الذى أحسته نحوه يوم أن تعرض لهؤلاء الفتيان دفاعًا عنها .

إحساسها بأنه الشخص الذى تشعر فى وجوده بالرعاية والحماية والحنان .. الشخص الذى يشعرها بالأمان .

كلا .. من المؤكد أن مشاعرها القديمة نحوه ، مازالت حية ولم تمت بعد .. مشاعر تتجاوز صلة القرابة بينهما .

لقد أحبت (هشام) دون أن تدرى .. برغم أنه لم يشجعها قط على وجود تقارب حقيقى بينهما .

وألقت بنفسها فوق الفراش ، وهى تعود لتتدثر بالأغطية ، مرددة لنفسها ، وكأنها تحاول إن تؤكد حقيقة كانت مترددة بشأن الإعلان عنها .. لكنها ما لبثت أن تبينت أنها راسخة فى نفسها :

ـ نعم .. إننى أحبه .. فصورته لم تفارق خيالى منذ أن عرفته .. وها قد تبين لى الآن أن ابن العم هو نفسه الحبيب اللدود .

واستغربت لهذه العبارة التى وردت على خاطرها :

ـ (الحبيب اللدود) .. يا له من تعبير !

وارتسمت الابتسامة على وجهها ، وهى تستطرد قائلة :

ـ لكنه تعبير حقيقى .. فمعاملته لى كانت تتسم دائمًا بالعدوانية .. كما أننى كنت أرد عليه دائمًا بدعابات ثقيلة ، وسخرية لاذعة برغم أن مشاعرى الداخلية نحوه كانت تختلف تمامًا عما أبديه .

تساءلت قائلة :

ـ ترى هل تختلف مشاعره الحقيقية أيضًا عما يبديه نحوى فى الظاهر ؟

وهل يمكن أن يحمل لى بعضًا من الحب الذى أحسه نحوه ؟

إننى أدرك الآن .. لماذا كنت أرفض كل هؤلاء الذين تقدموا للزواج منى برغم مميزاتهم ؟

لقد كنت أبحث فى كل منهم دون أن أدرى عن شخص (هشام) .. ولأن قلبى لم يتفتح يومًا ما .. إلا لـ (هشام) ..

★ ★ ★



٥ ـ حب .. وجفاء ..

نظر (منير) إلى أخيه وهو يجفف شعره بالمنشفة على إثر خروجه من الحمام قائلًا :

ـ لم أكن أعتقد أنك ستعود إلى هنا .

قال له (هشام) وهو يصفف شعره أمام المرآة :

ـ لماذا ؟

هز (منير) رأسه ، وهو يرتدى ثيابه قائلاً :

ـ لأنك لم تكن مرحبًا بالبقاء هنا .

قال (هشام) وهو يتأمل وجهه فى المرآة :

ـ لكنى وعدت جدك بالعودة .. ثم إنه قد آن الأوان لنتحدث معه بشأن حقوقنا .

نظر إليه (منير) باستغراب قائلاً :

ـ أية حقوق ؟

ـ حقنا فى أن ننال جزءًا من ثروته لإصلاح أحوالنا قليلاً .. إن لديه ثروة كبيرة من المال لم يعد بحاجة لها ، وهو فى هذه السن .. أما نحن ....

قاطعه (منير) مستنكرًا وهو يقول :

ـ هل تريد منا أن نرثه فى حياته ؟

ـ وهل من العدل أن نبقى فى هذه المعاناة المادية .. نستدين من هذا وذاك ، فى حين يحتفظ ذلك الرجل بثروة طائلة فى حوزته ؟

قال له (منير) بحدة :

ـ تكلم عن نفسك .. إننى لا أستدين من أحد .. وراتبى يكفينى تمامًا ..

أما أنت .. فإنك تبدد دخلك على تلك السهرات ، وعلى علاقاتك المتعددة .. وهؤلاء الفتيات اللاتى تحاول أن تبدو أمامهن فى مظهر غير مظهرك الحقيقى .. وعلى سباقات الخيل .

ـ وهل تسمى هذا دخلاً ؟

ـ كل إنسان يستطيع أن يرتب أموره وفقًا لإمكانياته .. وعلى أية حال إياك أن تتحدث معه فى هذا الأمر .

ـ ستظل ساذجًا دائمًا .. هيا بنا لنتناول الفطور الآن .

ـ لقد حضرت (رانيا) بالأمس .. وأريد منك أن تظهر أمامها بمظهر لائق عندما تقابلها .

ابتسم (هشام) وهو يغادر الحجرة بصحبة أخيه قائلاً :

ـ لقد قابلتها بالفعل .

نظر أخوه إليه بدهشة قائلاً :

ـ قابلتها ؟

ـ نعم .

ـ متى ؟

ـ ليلة أمس .

ـ لكنك لم تأت إلى المنزل حتى الواحدة صباحًا .

ـ ومع ذلك فقد التقيت بها .. وألقت بنفسها بين أحضانى !

قال له (منير) غاضبًا :

ـ تأدب وأنت تتحدث عن ابنة عمك .

ضحك (هشام) قائلاً :

ـ لكن هذا ما حدث بالفعل .. لقد كانت خائفة للغاية .. واندفعت خارج غرفتها فى الظلام ـ بعد أن فتح الهواء نافذتها بعنف ـ لترتمى بين ذراعى .

وكانا فى أثناء حديثهما معًا قد وصلا إلى الحديقة حيث كان جدهما وحفيدته جالسين فى انتظارهما .

وما إن رأى الجد (هشام) حتى تهلل وجهه بالفرحة قائلاً :

ـ (هشام) إننى سعيد لأنك قد وفيت بوعدك وعدت إلى المنزل مرة أخرى .

ابتسم (هشام) قائلاً :

ـ ما كنت لأستطيع أن أخلف وعدى معك .. وإن كنت أعتذر عن حضورى فى ساعة متأخرة .

ـ المهم أنك قد عدت .

حيا (منير) جده وابنة عمه ، وجلس بجوار جده على المائدة فى انتظار إعداد الفطور ..

بينما جلس (هشام) بجوار ابنة عمه ، وهو يحييها قائلاً :

ـ صباح الخير !

التفتت إليه قائلة :

ـ صباح الخير يا (هشام) .

ـ أرجو أن تكونى قد نمت جيدًا بالأمس .

ـ نعم .. بفضل مساعدتك لى .

ابتسم الجد قائلاً :

ـ لقد أخبرتنى (رانيا) عن حالة الفزع التى تعرضت لها بالأمس .. وعن الظروف التى التقيتما فيها .

قال (هشام) محدثًا جده :

ـ لقد كانت الأحوال الجوية سيئة للغاية ليلة أمس على نحو غير متوقع فى هذا الوقت من السنة .

ـ الحمد لله على أن الأمور قد عادت لطبيعتها .. ولا أظن أن ذلك المناخ سيتكرر مرة أخرى .

قال (منير) محدثًا (رانيا) :

ـ لا بد أنها كانت مفاجأة بالنسبة لك .. أن تلتقى بـ (هشام) ليلة أمس فى مثل هذه الظروف .

ضحكت (رانيا) قائلة :

ـ لقد ظننته لصًا !

نظر إليها (هشام) قائلاً :

ـ نعم .. وكادت أن تملأ البيت صراخًا .. هل أبدو فى مظهر اللصوص ؟

قالت له مداعبة :

ـ إلى حد ما .

ـ على أية حال .. لقد كان مظهرى أفضل مما رأيتك عليه .. وأنت حافية القدمين .. بشعر مشعث وملامح الرعب والفزع على وجهك .

نظرت إليه (رانيا) باستياء قائلة :

- وماذا كنت تنتظر من فتاة غادرت الفراش من فورها وهى مفزوعة ؟
أم أنك اعتقدت أن تنام مرتديًا حذاءك ؟
ضحك الجد قائلاً :
- لا فائدة .. ستظلان دائمًا تتشاجران كالديكة ..
تدخل (منير) فى الحديث قائلاً لـ (رانيا) :
- أما زلت عند وعدك بشأن الرحلة النيلية التى سنقوم بها معًا اليوم ؟
أجابته قائلة :
- بالطبع .
سألهما الجد قائلاً :
- أية رحلة نيلية تلك ؟
- لقد فكرنا أن نستأجر قاربًا ، ونقوم برحلة قصيرة إلى البر الآخر ، كما كنا نفعل من قبل .. وبعد إذنك يا جدى .
قال له الجد ، وقد بدت عليه ملامح الرضا :
- بالطبع يا بنى .. لقد جئتم إلى هنا من أجل أن تتنزهوا ، وتقضوا وقتًا طيبًا .. وهذا يسعدنى .
سأل (منير) أخاه قائلاً :

- هل تأتى معنا يا (هشام) ؟
- كلا .. إننى أفضل إن أقوم برحلة صيد صغيرة فى الحقول المجاورة .
قالت له (رانيا) محتجة :
- أما زلت تمارس هذه الهواية المؤذية ؟
قال لها (هشام) ببرود :
- من قال لك إنها مؤذية ؟
- بالطبع .. ألا تقوم بقتل العصافير الصغيرة ، واليمام الوديع الذى يحلق هنا ؟
- إنه صيد يا عزيزتى .. وماذا تنتظرين منى أن أصطاد هنا ؟ أفيالاً مثلاً ؟
انتهوا من تناول إفطارهم .. وانسحب الجد إلى حجرة المكتب المطلة على الحديقة ، بينما تأهب (هشام) للصيد ، وعكف على إعداد بندقيته وهو يقف بجوار إحدى أشجار الحديقة .
وما لبثت أن لحقت به (رانيا) قائلة :
- ألا تريد أن تعدل عن مسألة الصيد هذه ، وتأتى معنا فى هذه الرحلة النيلية ؟
أجابها قائلاً .. وهو منشغل عنها بتنظيف سلاحه .

ـ نعم ..

هزت كتفيها قائلة :

ـ كما تريد .

وصمتت برهة قبل أن تردف قائلة :

ـ لقد أخبرنى (منير) أنك تعمل بإحدى الشركات التجارية فى الإسكندرية .

قال لها ببرود :

ـ نعم .

ـ وهل أنت مستريح فى عملك ؟

قال لها بنفس النبرة الباردة :

ـ إنها مجرد وظيفة مثل بقية الوظائف الأخرى .

ـ وهل سافرت حقًا ليلة أمس لتحصل على إجازة من العمل ، أم أن هناك سببًا آخر لسفرك ؟

نظر (هشام) إليها قائلاً :

ـ بل هناك سبب آخر دفعنى إلى السفر .

ـ هل يمكننى أن أعرفه ؟

قال لها وابتسامة ساخرة على وجهه :

ـ بالطبع .. لقد كنت على موعد مع فتاة فى الإسكندرية .. ولم أكن أستطيع أن أخلفه .

تغيرت قسمات وجهها ، وهى تسمع منه ذلك .. لكنها حاولت أن تخفى حقيقة مشاعرها ، وهى تسأله :

ـ هل تحبها ؟

ـ أحبها ؟ كلا .. إنها مجرد فتاة من بين عدة فتيات عرفتهن وصار بيننا شىء من الود والإعجاب .

قالت (رانيا) بانفعال غير مبرر :

ـ هل تظن نفسك ساحرًا لقلوب العذارى ؟

نظر إليها باستخفاف قائلاً :

ـ وما شأنك أنت بذلك ؟

قالت (رانيا) مرتبكة :

ـ هل نسيت أننى ابنة عمك ؟

ـ وهل يعطيك هذا الحق فى أن تتدخلى فى شئون حياتى ؟

سيطرت على ارتباكها ، وانفعالها المفاجئ لتتظاهر باللامبالاة وهى تهز كتفيها قائلة :

ـ معك حق .. لا شأن لى بما تفعل .. أنت حر بحياتك .

ومن بعيد وقف (منير) ليرقبهما للحظات قبل أن يقترب منهما قائلاً لابنة عمه :

- هيا يا (رانيا) .. هل أنت مستعدة لرحلتنا النيلية ؟

قالت له بابتسامة مفتعلة :

- نعم .. إننى على أتم الاستعداد .

وألقت نظرة غاضبة على (هشام) قبل أن تذهب فى صحبة (منير) .

بينما استمر (هشام) فى الاهتمام بتنظيف سلاحه . دون أن يعيرها أى انتباه .

★ ★ ★



٦ - بريق المال ..

استدعى الجد حفيديه إلى حجرة مكتبه فى ساعة متأخرة من الليل ، وقد أدهشهما إن يكون مستيقظًا حتى هذا الوقت على غير العادة .. وما إن دخلا إلى الحجرة حتى وجداه جالسًا خلف مكتبه ، وقد ارتسمت ملامح الجدية على وجهه .. حيث أشار لهما قائلاً :

- أغلقا الباب خلفكما .

قام (هشام) بإغلاق الباب بينما سأله (منير) قائلاً :

- خير يا جدى .. لقد أبلغنا عم (متولى) أنك تريد أن تتحدث إلينا .

قال الجد وهو يشير لهما بالجلوس على المقعدين المواجهين لمكتبه :

- نعم .

- ولكن كان لا بد أن تكون نائمًا فى فراشك الآن .. فقد فات ميعاد نومك .

ـ لا يهم .. إن ما أريد أن أحدثكما بشـأنه أهم من أى شىء آخر .

قال (منير) :

ـ ألا يمكن لهذا الأمر أن ينتظر حتى الغد ؟

ـ كلا .. لا بد من حسمه الليلـة .. قل لـى أولاً .. هل نامت (رانيا) ؟

ـ أظن ذلك .. هل ترغب فى أن أستدعيها لك ؟

قال له جده سريعًا :

ـ كلا .. إن الأمر الذى أريد أن أتحدث إليكما بشـأنه .. خاص بكما وحدكما ، ولا أريد أن تعرف عنه (رانيا) شيئًا .. ولهذا انتظرت حتى نـامت ، وصمت برهـة .. قبل أن يستطرد قائلاً :

ـ ما رأيكما فى ابنة عمكما ؟

نظر إليه حفيداه بدهشة .. وسأله (منير) قائلاً :

ـ (رانيا) ؟ من أية زاوية ؟

قال له الجد بجدية :

ـ إننى أريدها أن تكون زوجة لأحدكما !

ازدادت دهشتهما من هذا الطلب الغريب والمفاجئ .

لكن ما لبث أن سأله (هشام) قائلاً :

ـ ما هذا الطلب الغريب ؟

ـ أية غرابة فى أن يتزوج المرء ابنة عمه ؟

قال (هشام) ساخرًا :

ـ على أية حال يمكنك أن تعرض هذا الأمر على (منير) وحده أما أنا ....

قال له الجد بهدوء :

ـ ألا تنتظر حتى أنتهى من حديثى أولاً ، لتعلن عن رأيك بعد ذلك ؟

قال (منير) :

ـ لا اعتراض لدى على ابنة عمـى بـالطبع .. فهى فتاة يتمناها أى شاب .. ولكن ..

ـ ولكن ماذا ؟

ـ لكن الزواج لا يتقرر بمثل هذه الطريقـة .. هنـاك أشياء كثيرة لابد من وضعها فى الاعتبار .. مثل وجود مشاعر مشتركة بين الطرفين ، واستعداد لدى الطرفين أيضًا .

ـ لا شـأن لـى بمثـل هذه الاعتبـارات التـى تتحدث عنها .. إن ما يهمنـى هو النتيجـة .. والنتيجـة التـى أرغبها هى أن تكون هذه الفتاة زوجة لأحدكما .

سأله (هشام) بعصبية قائلاً :

ـ ولكن .. لماذا ؟

ـ لأننى أريد أن أنهى حالة الخصام ، والعداوة التى استمرت سنوات طويلة بين ولدىّ قبل وفاتهما .. والتى انتقلت آثارها إليكما ، وأدت إلى هذا التباعد بينكما وبين ابنة عمكما .

لقد تعذبت طويلاً ، وأنا أرى ولدىّ الوحيدين متخاصمين على هذا النحو .

حاولت كثيرًا أن أصلح ما بينهما لكننى فشلت .. ولم يكن هذا هو ما أتمناه ، وأرغبه لأبنىّ اللذين ماتا وهما على هذا الحال من العداء والخصام .

قال (منير) :

ـ لم يكن أبى يضمر عداء ولا كراهية لعمى برغم ما حدث .

ـ لكنه أصر على مقاطعته حتى وفاته .. وقد كان لوالدتك تأثير كبير عليه فى ذلك .

ـ لا داعى للحديث عن والدتى الآن .. فما فعله عمى لم يكن بحاجة لتأثير من أحد .

قال له الجد غاضبًا :

ـ اصمت .. ولا تقاطعنى .

وصمت برهة حتى هدأ انفعاله .. ثم استطرد قائلاً :

ـ إننى أريد لهذا العداء .. وهذه القطيعة أن تنتهى إلى الأبد .

كنت أتمنى أن يكون لى عشرة أبناء ، وثلاثون حفيدًا .

لكن الله لم يمن علىّ إلا بولدين ، وثلاثة أحفاد ..

الولدان أخذهما إلى جواره ، وأنا مازلت على قيد الحياة .. ولا أريد أن أفارق الدنيا قبل أن أرى هؤلاء الأحفاد ، وقد التأم شملهم من جديد .. وتوطدت أواصر الصلة بينهما .

قال (منير) :

ـ بالنسبة لى .. فإننى أعتبر هذا الأمر منتهيًا .. وأعدك ألا تكون هناك قطيعة مرة أخرى .

ـ هذا لا يكفينى .. إننى أريد أن أطمئن على (رانيا) اطمئنانًا حقيقيًا قبل أن أموت .

فهى فتاة وحيدة ، وتعتبر تقريبًا يتيمة بعد أن تزوجت والدتها من شخص آخر بعد وفاة والدها .

ولا أريد لها أن تكون فى عصمة رجل غريب لانعرف خباياه ، ولا نواياه .. خاصة بعد أن تحصل على هذه الثروة التى سأتركها لها .

ارتسمت معالم الاهتمام على وجه (هشام) وهو يسأله قائلاً :

ـ الثروة ؟

ـ نعم .. لقد أودعت باسمها فى البنك منذ أسبوعين خمسمائة ألف جنيه .. هى تقريبًا قيمة الأرض والعقارات التى بعتها .

صاح (هشام) قائلاً وهو ينهض من فوق مقعده :

ـ خمسمائة ألف جنيه ! لهذه الفتاة ؟ ولكن .. لكنك تكرر المأساة مرة أخرى .. إنك تحاول أن تحرمنا الآن من ميراثنا الشرعى .. وتمنح ابنة الرجل الذى احتال على أبى ، واستولى على أمواله كل أموالك .. إننى لن أسمح بهذا !

قال له الجد محتدًا :

ـ أنا حر فى أموالى .. وليس من حقك أن تسمح أو لاتسمح بشىء ، هل تريد أن ترثنى فى حياتى يا ولد ؟

تدخل (منير) قائلاً :

ـ أرجوك يا جدى اهدأ .. إن (هشام) لايقصد هذا .

قال (هشام) متحديًا :

ـ بل أقصده !

أسرع (منير) لتهدئة أخيه ، وهو يدعوه إلى الجلوس .

بينما أكمل الجد قائلاً :

ـ سأكرر لك ثانية أننى لم أظلم أباك .. لقد منحته نصف المزرعة .. ونفس النصيب الذى منحته لعمك .. ولست مسئولاً عن تفريطه فى حقه .

وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

ـ ثم إننى أقدر ظروفكما الآن .. لذا فلم أمنح (رانيا) كل الأموال التى حصلت عليها من بيع الأراضى والعقارات .. بل احتفظت لكل منكما بمبلغ خمسين ألف جنيه .. وما يتبقى بعد ذلك سيئول إليكما بالميراث الشرعى بعد موتى .

قال له (هشام) متهكمًا :

ـ خمسين ألف جنيه ؟ يا له من كرم ! تمنحها هى خمسمائة ألف جنيه ، وتتكرم على كل واحد منا بخمسين ألف جنيه فى النهاية .. وما الذى تظن أنه سيتبقى بعد ذلك ؟

قال (منير) :

ـ يتعين عليك أن تشكر جدك لاهتمامه بنا على هذا النحو .. فخمسون ألف جنيه ليست مبلغًا قليلاً .. وهو لم يكن ملزمًا بأن يمنحنا إياه .

ـ إننى أتساءل عن سر هذه القسمة غير العادلة .. لماذا تدفع لها عشرة أضعاف المبلغ الذى تركته لنا ؟

ـ لأنكما رجلان .. وفى وظائف مرموقة .. والخمسون ألفًا لو استغلها كل منكما استغلالاً جيدًا .. وأقام بها مشروعًا مناسبًا .. فسوف ينمو هذا المبلغ ويزداد نموًا مع دورة رأس المال ، ليصل إلى عشرة أضعاف هذا المبلغ .

أما (رانيا) .. فهى فتاة وديعة .. لا شأن لها بالمشروعات والأعمال .. كما أنها لا تعمل .. لذا فهى بحاجة لمثل هذا المبلغ الذى يمكن أن يؤمن لها حياتها .. بعد مماتى .!

واستطرد :

ولأننى أهدف من وراء ذلك إلى شىء آخر .. وهو أننى لا أريد لهذا المال أن يذهب لشخص غريب .. إذا ما تزوجت من أحد غيركما .. فهل فهمتما لماذا اختصصتها بهذا المبلغ الكبير ؟

صاح (هشام) قائلاً :

ـ أعتقد أننى قد فهمت .. إنك لا تريد لهذا المال أن يخرج عن محيط الأسرة .. أليس كذلك ؟

ـ الحمد لله على أنك قد فهمت .

فكر (هشام) قائلاً لنفسه :

ـ إذن فإن زواجى من ابنة عمى سيجعلنى أضع يدى على نصف مليون جنيه .. إننى أستطيع بهذا المبلغ أن أقيم المشروع الذى أحلم به .. وأصبح من رجال الأعمال .

كما أننى أستطيع بذلك أن أسترد المال الذى سلبه عمى من أبى بما يستحقه من فوائد .

وقطع عليه تفكيره صوت أخيه (منير) ، وهو يقول لجده محتجًا :

ـ لكنك بذلك تجعل من المال وسيلة إغراء ليتزوج أحدنا من (رانيا) .. وهذا لا يليق بكرامتها .

ـ بل أسعى لتوفير حياة كريمة لها .. بأن أجعلها فتاة ثرية ، وزوجة لرجل يحبها ويخاف عليها .. خاصة إذا كان هذا الرجل هو ابن عمها .

ـ أو ربما لأنه سيطمع فى المال الذى ستضع يدها عليه .

- إنها ستكون حرة التصرف فى هذا المال .. ولن تمنح قرشًا واحدًا لأحد إلا بإرادتها .. وحتى لو أعطت فإنها لن تعطى لغريب .. بل لزوجها وابن عمها .. والخير فى النهاية سيعم الأسرة كلها .

قال (منير) لجده :

- إننى لو فكرت فى أن أتزوج من فتاة مثل (رانيا) فإن ذلك سيكون لشخصها دون مالها ، وبدافع واحد فقط هو حبى لها .

- إن زواج أحدكما منها على أية حال سيكون مرهونًا بموافقتها هى على هذا الزواج .. وبكامل إرادتها وقناعتها .

فأنا لن أجبرها على الاختيار .

وإذا اختارت ألا تتزوج من أحدكما .. فلن أضطرها للزواج منه ، وسأقبل بمن تختاره برغم أسفى الشديد لذلك .

ابتسم (هشام) قائلاً :

- اطمئن يا جدى .. من المؤكد أنها ستختار أحدنا .

- أتمنى ذلك .. والآن بعد أن أطلعتكما على الأمر يمكنكما أن تعودا لتناما .. وغدًا سأكون قد أعددت لكل منكما شيكًا بالمبلغ الذى وعدته به .

أما المبلغ الخاص بـ (رانيا) فسوف أودعه في البنك لحسابها .. وكما اتفقنا لا أريدها أن تعلم شيئًا عن هذا الآن .

قال (هشام) سريعًا :

- طبعًا .. طبعًا يا جدى .

ثم انحنى ليقبل يد جده ، وقد تبدلت لهجته لتصبح أكثر نعومة قائلاً :

- شكرًا لك يا جدى .

وما إن انصرف حتى غمغم قائلاً :

- يا لها من صفقة !

نظر إليه أخوه باستغراب قائلاً :

- ماذا تقول ؟

- أقول إنها فرصة حقيقية لنسترد مال أبينا .

- هل تعنى أنك ......؟

- سأتزوجها .. ولِمَ لا ؟ إنها فتاة جميلة .. وثرية فضلاً عن أنها ابنة عمى .

- إنك شخص انتهازى .. حقود .. وأنا لن أسمح لك أن تخدع هذه الفتاة .

- من قال لك إننى سأخدعها ؟ ألا يحتمل أن يكون لدى ميل نحوها بالفعل ؟

ـ لكن هذا غير حقيقى .

ابتسم (هشام) قائلاً :

ـ وما أدراك أن هذا غير حقيقى ؟

ـ تصرفاتك نحوها تدل على ذلك .

ـ إن خبرتك فى الحياة محدودة .. لذا لا يمكنك أن تحكم على تصرفاتى الحكم الصحيح .

وصمت برهة وهو ينظر إليه .. ثم استطرد قائلاً :

ـ أم أنك ترغب فى الظفر بهذه الصفقة لنفسك ؟

قال له (منير) غاضبًا :

ـ قلت لك لا تتحدث عنها هكذا .

قال له أخوه ساخرًا :

ـ حسن .. لن أتحدث عن صفقات .. ولكن قل لى .. هل تشعر بميل نحوها ؟

ـ هذا ليس من شأنك .

ـ لو كنت تحبها فإننى مستعد ألا أدخل فى منافسة معك .. وأن أبتعد لأفسح لك المجال .. ما دام هذا المال سيكون فى حوزة أحدنا بشرط أن تحتفظ لى بنصيبى منه ..

نظر إليه بازدراء قائلاً :

ـ لو كنت تحبها حقًا لما قلت هذا .

ـ على أية حال .. إن الأمر فى النهاية مرهون بها هى .. فكما قال جدك إنه سيترك لها الحق فى الاختيار .. وهى وحدها التى ستقرر من ستختاره منا ليكون زوجًا لها .

★ ★ ★



٧ ـ مشاعر حائرة ..

عادت (رانيا) إلى منزلها فى (القاهرة) بعد أن قضت أسبوعًا كاملًا فى منزل جدها بصحبة ابنى عمها .

لقد عاد (منير) إلى (الإسكندرية) بعد أربعة أيام فقط قضاها فى صحبتها ، أما (هشام) فقد ظل معها حتى نهاية الأسبوع ، وأصر على توصيلها بنفسه إلى (القاهرة) متحملًا مشقة السفر ، والعودة مرة أخرى إلى (الإسكندرية) .

لقد كان رقيقًا ولطيفًا معها على نحو مدهش .. حتى إنه بدا لها وكأنها تراه لأول مرة فى حياتها .

نعم .. لقد تغيّر (هشام) كثيرًا فى الآونة الأخيرة .. تغيّر فى كل شىء .. معاملته لها ، ومشاعره نحوها .. وهذا هو ما كانت تحلم به .

بل كانت تحلم بأن يبدى ولو بعض الاهتمام الحقيقى بها .. وها هو ذا حلمها قد تحقق إلى حد أنها لا تصدق ذلك .

بل لقد تحقق لها أكثر مما حلمت به وتمنته .. لقد طلب منها أن تتزوجه ، وهو ما لم تكن تتوقعه .

كان يتعين عليها أن تسعد بهذا الطلب .. بل وتطير فرحًا من أجل ذلك .. فهى تحب ابن عمها .. وقد كانت أمنيتها أن تتزوج على الأقل من شخص يماثله .. لأنها لم تثق بأنها يمكن أن تثير اهتمامه إلى حد الزواج .

لكنها برغم ذلك .. قابلت هذا الطلب بالوجوم .. ولم تطِر فرحًا ، كما هو متوقع .

بل اعتراها إحساس بالاضطراب والخوف والعجز عن اتخاذ قرار فى هذا الشأن .

كل ما قالته له .. هو أن هذا الأمر كان مفاجئًا لها .. وأنها بحاجة لبعض الوقت والتفكير قبل أن تعطيه ردّها .

وما زالت حتى هذه اللحظة مترددة وخائفة وعاجزة عن اتخاذ القرار .

جلست شاردة وقد غابت أفكارها ومشاعرها عما يحيط بها ، حتى إنها لم تنتبه لصوت زوج أمها ، وهو يسألها عن أخبار زيارتها لجدها .

فنبهتها أمها قائلة :

- (رانيا) .. إن عمك (حسين) يسألك عن زيارتك لجدك .

قالت لها وقد تنبهت من شرودها :

- هه ؟ إن جدى بخير .. وقد قضيت وقتًا طيبًا .

تأملتها أمها بقلق قائلة :

- ماذا بك ؟ إنك تبدين على غير ما يرام .

نهضت (رانيا) من فوق مقعدها قائلة :

- إننى بخير .. عن إذنكما .. سأصعد لغرفتى .

سألها زوج أمها قائلاً :

- لماذا لا تجلسين معنا لمشاهدة التليفزيون ؟

- إننى أشعر برغبة فى النوم .

قالت لها أمها .. وهى ترقبها بعينين فاحصتين :

- لكن الوقت ما زال مبكرًا على النوم .

قال لها الزوج :

- دعيها على راحتها .

راقبتها أمها وهى تسرع بالذهاب إلى غرفتها ، حيث أغلقت عليها بابها ، ثم التفتت إلى زوجها قائلة :

- هناك شىء غير طبيعى .. فالبنت تبدو شاردة

وقلقة منذ أن عادت من زيارتها لجدها .

قال لها زوجها :

- أنا أيضًا لاحظت ذلك .. إنها تقريبًا لم تتناول شيئًا من الطعام فى أثناء العشاء .

ربما كانت هناك مشكلة ما بينها ، وبين جدها .

- كلاَ .. إن جدها يحبها .. ولم يحاول الإساءة إليها مطلقًا .

لا بد أن الأمر يتعلق بابنى عمها .. فهما يضمران لنا العداء والكراهية .. خاصة ذلك المدعو (هشام) .

كان يتعين علىّ ألا أوافق على ذهابها إلى هناك .

- الأفضل أن تذهبى إليها لتتحرى ما بها .

نهضت الأم قائلة :

- معك حق .

وما لبثت الأم أن لحقت بها حيث وجدتها ، وقد تمددت على فراشها .. وهى ما زالت غارقة فى أفكارها الشاردة .

سألتها أمها :

- ألن تخبرينى عما بك ؟

- آسفة إذا كنت قد سببت لك القلق .

جلست الأم بجوارها ، وقد أحاطت كتفى ابنتها بذراعها قائلة :

ـ ما هذا الذى تقولينه يا (رانيا) ؟ إذا لم أقلق عليك فعلى من أقلق إذن ؟

إن هذا أمر طبيعى بالنسبة للأم ، ولا يحتاج إلى أسف .

والآن قولى لى .. ما الذى يقلقك ويجعلك شاردة هكذا ؟

هل ضايقك أحد من أبناء عمك ؟

قالت (رانيا) وهى تحاول أن ترسم ابتسامة على شفتيها :

ـ بل طلب أحدهما أن يتزوجنى .

تطلعت إليها أمها بانزعاج قائلة :

ـ يتزوجك ؟

وصمتت برهة .. وآثار الانزعاج والدهشة ما زالت مرتسمة على وجهها .

بينما نظرت إليها ابنتها قائلة :

ـ ما رأيك يا أمى ؟

سألتها أمها قائلة :

ـ من منهما الذى عرض عليك الزواج ؟

ـ (هشام) .

ـ لكن (هشام) هذا بالذات كان يكرهنا دائمًا .. ولم يكن بينه وبينك أية مودة .

ـ ولكن لا تنسى أنه دافع عنى ، وأنا صغيرة حينما حاول بعض الفتيان مضايقتى ، وقد شكرت له ذلك .

الأم :

ـ لقد كان يدافع عن كرامته على أية حال .. ألست ابنة عمه سواء قبل ذلك أو رفضه ؟ ثم إنه سرعان ما عاد إلى طبيعته الجافة فى تعامله معنا .

ـ لقد تعامل معى بطريقة مختلفة تمامًا هذه المرة .

سألتها أمها قائلة :

ـ وبماذا أجبته ؟

ـ لم أجبه بشىء .. قلت له أن يدع لى وقتًا لكى أفكر .

ـ كان يتعين عليك أن ترفضى فى الحال .

ـ لماذا يا أمى ؟ إنه ليس سيئًا إلى هذا الحد .

نظرت إليها أمها بتمعن قائلة :

ـ يبدو أنك تميلين إليه .

صمتت (رانيا) وقد تضرج وجهها بالاحمرار .

فحدجتها أمها بنظرة فاحصة قائلة بغضب :

- ما دمت تميلين إليه .. إذن فلم الحيرة والقلق ؟ لِمَ لم تعلنيه بموافقتك فى الحال ؟!

- لأننى خائفة منه .. إننى لا أثق تمامًا بتغيره المفاجئ هذا .

كما أننى سمعت عنه .. أنه .....

سألتها أمها قائلة :

- أنه ماذا ؟

قالت (رانيا) بعد برهة من الصمت :

- أنه يعرف العديد من الفتيات .. ويعيش حياته باستهتار .

- وحتى لو لم يكن من ذلك النوع المستهتر ذى العلاقات النسائية المتعددة .. وكانت به كل المزايا .. فلم أكن لأوافق عليه .. تكفينى كراهيته لأبيك .

- قلت لك إنه قد تغير .. فلم يحاول أن يذكر أبى بسوء مرة واحدة .. بل بدا آسفًا على كل التصرفات والأفعال التى صدرت منه من قبل .

- أمثاله لا يتغيرون بسهولة .

وسكتت لحظة قبل أن تردف قائلة :

- وما رأى جدك فى هذا الأمر ؟

- إننى لم أخبره بشىء .. فقد فضلت أن أمنح نفسى بعض الوقت للتفكير .. وأن أستشيرك قبل أن أقرر أنا أولاً ما إذا كنت سأوافق على الارتباط به أم لا .

قالت أمها معترضة :

- بالنسبة لى فأنا غير موافقة .. لكننى لن أعترض على اختيارك .

قالت (رانيا) وملامح الحيرة على وجهها :

- إننى أعترف لك يا أمى بأننى أحبه .. لكننى أخافه .. ساعدينى يا أمى فإننى حائرة .

قالت لها أمها مشفقة ، وهى تحتضنها :

- لم أكن أعرف أنك تحبينه .. إننى أراه غير جدير بحبك .. لكن الأمر فى النهاية مرجعه إليك يا بنيتى .. المهم ألا تتسرعى فى قرارك .

★ ★ ★

٨ - أحببتك دائمًا ..

ارتبكت حين رأته .. وبدت وكأنها تلقاه لأول مرة .

ولم تكن تدرى وهى جالسة أمامه فى هذه اللحظة سر عجزها عن السيطرة على مشاعرها .. فهذا الشخص الذى تجالسه هو ابن عمها .. وبينهما معرفة وثيقة .. كما أنها طالما تجرأت عليه من قبل .. وعمدت إلى مشاكسته برغم جفائه معها فى البداية .. ومعاملته الرقيقة لها فى الآونة الأخيرة .

إذن .. لماذا تبدو مضطربة هكذا وهى تلقاه ؟

ربما لأنها المرة الأولى التى يتصل بها هاتفيًا فى منزلها ليدعوها لمقابلته فى مكان عام ؟

أم لأن الوضع بينهما أصبح مختلفًا بعد أن عبر لها عن رغبته فى الزواج منها ؟

سألها قائلاً :

- لماذا لم تتصلى بى كما اتفقنا ؟

أجابته قائلة :

- كنت بحاجة لبعض الوقت للتفكير .

نظر إليها قائلاً :

- لقد مرت ثلاثة أسابيع منذ آخر لقاء بيننا .. فهل كان الأمر بحاجة لكل هذا الوقت للتفكير ؟

سألته قائلة :

- هل جئت إلى (القاهرة) خصيصًا من أجلى ؟

سألها بدوره قائلاً :

- ماذا ترين ؟

قالت له فجأة :

- (هشام) .. لماذا ترغب فى الزواج منى ؟

نظر إليها باستغراب قائلاً :

- يا له من سؤال غريب !

- أعنى .. هل تريد الزواج منى لأنك تحبنى ؟

قال لها سريعًا :

- بالطبع .

نظرت إليه غير مصدقة ، وهى تقول :

- لكنى لم أر هذا الحب فى عينيك وفى تصرفاتك معى من قبل .

- لا أدرى .. أحيانًا يرى المرء منا إنسانًا عرفه من

قبل كما لو كان يراه لأول مرة .. أو ربما يراه بنظرة مختلفة .

لقد ابتعدنا عن بعض ست سنوات .. كنت أراك قبلها فتاة صغيرة فى الرابعة عشرة من عمرها .. أما أنا فكنت أكبر منك بثمانى سنوات .. وكنت فى بداية تخرجى فى الجامعة .

كنت بالنسبة لى طفلة صغيرة .. ولم تكن نظرتى لك تتجاوز نظرتى لبنت صغيرة .

لكن عندما رأيتك أخيرًا كانت السنوات الست قد أحدثت أثرها فى فتاة الرابعة عشرة .. ورأيتها أمامى شابة جميلة تفيض رقة وحيوية .. فوقعت فى غرامها من أول نظرة .

قالت له .. وهى تتأمله بنظرات فاحصة :

ـ لكننى لم ألحظ ذلك .

ـ وهل كنت تنتظرين أن آتى إليك فى اليوم التالى لتلك الليلة التى تقابلنا فيها ؛ لأخبرك بأننى قد وقعت فى هواك ؟

سرت بينهما لحظة من الصمت الذى قطعه قائلاً :

ـ إن ملامح التردّد تبدو واضحة على وجهك .. هل

ترين أننى لست الشخص المناسب لك ؟

ـ كل ما هنالك أنك قد فاجأتنى .. وما زلت عاجزة عن الوصول إلى قرار حاسم .

ـ دعك من هذا القول .. أظن أنك لا تحبيننى، مع أننى كنت أتصوّر عكس ذلك .

ـ (هشام) .. أنت ابن عمى .

ـ هل هذا هو كل ما فى الأمر ؟

ـ لا أستطيع أن أنكر إعجابى بك وإننى .....

قاطعها (هشام) قائلاً :

ـ أنك مثلاً ؟ أنك تحبيننى .. لكنك مترددة فى الزواج منى لسبب أجهله .

إذا كان الأمر يتعلق بظروفى المادية الحالية فتأكدى أن هذه الظروف لن تستمر طويلاً .. إن الأوضاع بالنسبة لى تتطوّر إلى الأفضل .

ـ إننى لا أعنى هذا .. فلا تهمنى ظروفك المادية أيًا كانت .

ـ إذن ما الذى يهمك ؟

ـ أنت نفسك .. طبيعتك .. الحياة التى تحياها .

ـ مازلت لا أفهم قصدك ؟

إن كرامتى غالية لدى ، ولا أحب أن تسىء إليها فى يوم من الأيام .

ـ وهل لديك شك فى ذلك ؟ إن كرامتك من كرامتى ، وأنا أحرص الناس عليها .. سواء الآن .. أو فيما بعد .

فأنت ابنة عمى .. ومهما كان الخلاف الذى حدث بيننا فإننى أشعر بمسئوليتى نحوك بشكل ما ، بحكم هذه الصلة العائلية .. فماذا لو صرت زوجتى أيضًا ؟

ـ وماذا عن علاقاتك النسائية المتعددة ؟ وتلك الحياة اللاهية التى تحياها ؟! لقد عرفت عنك الكثير .. وما عرفته لا يطمئننى على حياتى معك .

ـ هل (منير) هو الذى أخبرك بذلك ؟

ـ لا يهم من أخبرنى بذلك .. وليس لـ (منير) دخل فى الأمر .. فقد كنت أتتبع أخبارك برغم انقطاع الصلة بيننا بوسائل متعددة من آن لآخر .

ابتسم قائلاً :

ـ هذا يدل على اهتمامك الشديد بى .

ـ إن الأمر لم يكن يتعلق بك وحدك .. لكنى كنت حريصة على معرفة أخبار أبناء عمى برغم الجفاء والقطيعة التى كانت بيننا .

ـ كل تلك الأشياء التى تتحدثين عنها لن يكون لها وجود بعد زواجنا .. فهى تخص شابًا كان يشعر بالوحدة والفراغ .. حياته جدباء لأنها بلا مشاعر حقيقية وصادقة .

أما الآن .. فقد اختلف الأمر .. واختلف بالتالى الشخص .

لقد عرفت الحب حينما التقيت بك .. ولم تعد حياتى خالية من المشاعر ، كما كانت من قبل .. لذا فلن تكون هناك عودة لهذه الأشياء .

ـ وتلك الفتاة التى ذهبت لتلتقى بها فى (الإسكندرية) يوم وصولى إلى منزل جدنا ؟

ضحك قائلاً :

ـ أما زلت تذكرين ذلك ؟

ـ من الواضح أنها تعنى بالنسبة لك الكثير .. وإلا لما سافرت خصيصًا من أجل لقائها فى ذلك اليوم .

ـ إنها إحدى صفحات الماضى التى أنوى تمزيقها .. فأنا أريد أن أبدأ معك حياة جديدة يا (رانيا) .

نظرت إليه قائلة :

ـ هل تعدنى بذلك ؟

ـ أعدك بذلك .

خفضت بصرها ، وهى تحاول أن تطمئن نفسها بأنه صادق فيما يقوله ، وفى حبه لها .. وأنه سيحافظ على وعده لها .

بينما وضع إصبعه أسفل ذقنها ليرفع وجهها إليه قائلاً :

ـ (رانيا) .. إننى أحبك .. لم أكن أظن أن هذا سيحدث لى .. ويحدث معك أنت بالذات .

لكنه حدث .. لقد عرفت معك مشاعر جديدة لم تمر فى حياتى من قبل .. مشاعر كنت أسمع عنها .. ولا أصدقها .. بل كنت أحيانًا أسخر منها .

لكننى فوجئت بها تتسلل إلى نفسى وعقلى وقلبى دون إرادة منى ، ودون أن أجد بنفسى القدرة على مقاومتها .. بل وجدت نفسى سعيدًا باستسلامى لها .

إن الرياح العاصفة التى فتحت نافذة غرفتك على مصراعيها فى تلك الليلة التى التقينا فيها ، كانت أقل بكثير من المشاعر التى اجتاحتنى لحظة أن أضأت نور الغرفة ورأيتك .

نظرت إليه (رانيا) باستغراب ، وهى تبتسم قائلة :

ـ (هشام) .. لقد تغيرت حقًا .. هذه أول مرة أسمعك تقول فيها لى كلامًا كهذا .

ـ إنها أول مرة أعرف فيها معنى الحب .

صمتت (رانيا) لبرهة ، وهى تخفض بصرها فى الأرض مرة أخرى .. ثم رفعت عينيها إليه وقد توردت وجنتاها بحمرة الخجل قائلة :

ـ أنا .. أنا .. أيضًا أحبك يا (هشام) .. لقد أحببتك دائمًا .. بوعى منى أو بدون وعى كنت أحبك .

ابتسم لها قائلاً :

ـ إننى سعيد أن أسمعها منك يا (رانيا) .

ارتبكت مشاعرها وهى تقول له :

ـ من الغريب أننى تمنيت أن أسمع منك دائمًا كلمة رقيقة تقولها لى .. أو معاملة لطيفة تذيب الجليد بيننا .. ذلك كان أقصى ما أتمناه .

أما أن نكون متحابين أو زوجين .. فهذا أمر لم أتخيله قط .

قال لها (هشام) وهو يتناول يديها الرقيقتين بين أصابعه :

- أنا أيضًا لم أكن أتخيل أن تكون مشاعرى معك على هذا النحو .

وإن كان هناك شىء آسف لأجله ، فهو أننى سمحت لنفسى أن أبتعد عنك كل هذه السنين .

قالت له وهى تنتزع يديها برقة من أصابعه :

- من الغريب أيضًا .. أننى وأنا أجلس معك الآن .. أشعر بأننى أبدو حمقاء .. وأنا فى هذه الحالة من الخجل والارتباك والعجز عن الكلام .

بينما كنت أستطيع من قبل ـ وأنا أتصرف معك كابن عم لى فقط ، وبرغم معاملتك الجافة التى كانت تخيفنى أحيانًا ، وعبوس وجهك ـ أن أكون أكثر جرأة .. وأكثر تحررًا فى مشاكستك .

ابتسم لها قائلاً :

- لقد كان مزاحك يبدو لى ثقيلاً أحيانًا .

قالت له ، وهى تحاول التغلب على ارتباكها :

- لقد كنت تستحقه .

قال لها بصوت هامس وأكثر جدية :

- أظن أننى أستحق ما هو أفضل الآن .. إننى سأعيد

عليك ما طلبته من قبل ، وأسألك إذا ما كنت توافقين على الزواج منى أم لا .

وجدت نفسها عاجزة عن الرفض هذه المرة ، وهو يحاصرها بعينيه العميقتين اللتين احتوتاها تمامًا .. وسلبتاها أى قدرة على المقاومة أو التفكير .. فقالت له :

- نعم .. أوافق يا (هشام) .





٩ ـ أتمنى لك السعادة ..

وصل (منير) إلى منزل جده فى ساعة مبكرة من الصباح .. حيث سأل الخادم العجوز عنه فأخبره أنه فى حجرة المكتب .

ودخل عليه حجرته حيث وجده غارقًا فى التفكير وهو جالس أمام مكتبه ، وما إن رآه حتى قال له مرحبًا :

ـ أهلاً يا (منير) .. لماذا تأخرت فى الحضور إلى ؟

ـ لقد أخبرنى (هشام) ليلة أمس فقط أنك تريد منى أن أحضر إليك .. فبادرت بالحضور مباشرة هذا الصباح .

وجلس وهو يترقب ملامح وجه جده قائلاً :

ـ خيرًا يا جدى ؟ هل هناك شىء ؟

نظر إليه جده قائلاً :

ـ لقد أخبرنى أخوك أنه ينوى الزواج من (رانيا) .

قال له (منير) بعد برهة من الصمت ، وقد ارتسمت على وجهه ملامح الأسى :

ـ وهل عرفت رأى (رانيا) فى هذا الأمر ؟

ـ إنها موافقة !

ـ إذن فلنبارك لهما .. ما دام هذا اختيارهما .

ـ ولكنى أشعر بشىء من عدم الارتياح تجاه هذه الزيجة .

ـ لماذا ؟ ألم يكن هذا هو مطلبك ؟

ـ لا أخفى عليك .. لقد كنت أتمنى لو تزوجتها أنت .. خاصة وقد لاحظت أنك تميل إليها .

ـ المهم هو اختيارها هى للشخص الذى تريد الارتباط به .. وقد اختارت (هشام) .

ـ يبدو أننى قد تسرعت فى تقديم هذا العرض لكما .. فأنا أشعر أن الدافع الوحيد لرغبة (هشام) فى الزواج من الفتاة هو النقود .

ـ لقد قلت لك منذ البداية أن العرض الذى قدمته من أجل هذه الزيجة كان مبنيًا على أساس خاطئ .. لكنك أوضحت أنك قد وضعت هذا فى اعتبارك حينما أعلنت عن مكافأة الزواج من ابنة عمى .

ـ ظننت أنك ستحاول أن ......

قال له (منير) منفعلاً :

- أحاول ماذا ؟ حتى لو كنت أحبها فلم أكن لأسعى للزواج منها بمثل هذا الأسلوب .

أطلق الجد تنهيدة قصيرة قائلاً :

- إن (هشام) يشبه عمك كثيرًا برغم مهاجمتك له .. فهو أنانى ومادى ومستهتر .

أما أنت فتشبه أباك .. أنت طيب .. ومتمسك بالقيم والمبادئ .. كما أنك إنسان رومانسى عطوف .

لذا فإننى كنت أفضل أن تكون زوجًا لابنة عمك .. لأنكما متشابهان فى أشياء كثيرة .

قال (منير) بحزن :

- تشابه الطباع لايعنى بالضرورة تشابه المشاعر .. و (رانيا) مشاعرها مع (هشام) .

- لا أظن أنه يبادلها هذه المشاعر .

- من يدرى ؟ ربما تبدلت مشاعره نحوها .. ففتاة مثل (رانيا) تجبر أى شخص على أن يحبها .

- إننا لن نخدع أنفسنا يا (منير) .. فـ (هشام) لايحب سوى نفسه ، ودافعه الحقيقى للزواج من (رانيا) هو الثروة التى وضعتها باسمها فى البنك .

- لقد قلت من قبل أن (رانيا) تعرف كيف تحافظ

على مالها .. وأنها ليست فتاة غريرة .

ثم لدى إحساس أن (هشام) ليس سيئًا إلى هذا الحد الذى تتصوره .. وأن لديه الاستعداد للتغيير .

إن ظروفه السابقة هى التى جعلت منه إنسانًا مستهترًا وأنانيًا ، كما تقول .. ولكن ربما بعد أن تتحسن أحواله المادية ، ويجد الاستقرار مع إنسانة رائعة مثل (رانيا) .. يختلف الأمر بالنسبة له .. وتختلف نظرته للأشياء .

- انها مجرد افتراضات .

- لا أظن أنك تنوى التراجع الآن .

- كلا .. ولكنى أريد أن أطمئن على حياة مستقرة وسعيدة لـ (رانيا) .

وأطمئن على أن الهدف الذى سعيت من وراء تقديم معظم ثروتى إليكم لأجله قد تحقق بالفعل ، وهو أن تنتهى صراعات الماضى وعداواته ، وأن يعود السلام والوئام والارتباط بينكم جميعًا .

- من ناحيتى سأبذل كل جهدى من أجل تحقيق ذلك .. وقد وعدنى (هشام) بأنه سيرعى (رانيا) وسيعمل على إسعادها .

ـ هذا ما وعدنى به أيضًا .
وصمت برهة قبل أن يردف قائلاً :
ـ وأتمنى أن يصدق فى وعده .
ـ أظن أنه قد آن الأوان لتعلمها بأمر المبلغ الذى أودعته فى حسابها فى البنك .
ـ نعم من الضرورى أن تعلم ذلك قبل أن تتزوج ، حتى تكون على بينة من أمرها .
ـ هل تحب أن أخبرها بالأمر ؟
ـ كلاً .. أفضل أن أخبرها به بنفسى .

★ ★ ★

أسرعت (رانيا) لتفتح الباب على إثر سماعها لرنين الجرس .. وما لبثت أن هتفت ، وقد تهلّل وجهها قائلة :
ـ (منير) ؟ غير معقول !
ابتسم لها (منير) قائلاً :
ـ كيف حالك يا (رانيا) ؟
قالت له وقد تهلل وجهها بفرحة حقيقية :
ـ بخير .. إننى سعيدة للغاية لأننى رأيتك .. ولأنك جئت لكى تزورنا .

تفضل .. تفضل .
دخل (منير) إلى الردهة حيث التقى بوالدة (رانيا) التى كانت تناديها قائلة :
ـ من يا (رانيا) ؟
لكنها لم تكمل تساؤلها ، وتوقفت مكانها وهى تنظر إلى (منير) بدهشة .
حياها (منير) قائلاً :
ـ مساء الخير يا (أمينة) هانم .. آسف إذا كنت قد جئت فى وقت غير مناسب .
قالت له والدتها وهى تتأمله بعينين فاحصتين :
ـ أنت (منير) .. أليس كذلك ؟
ابتسم فى حرج قائلاً :
ـ نعم .
ضحكت (رانيا) قائلة :
ـ هل رأيت كيف أن والدتى قوية الملاحظة ؟ لقد عرفتك سريعًا .
قالت الأم :
ـ إنهَ لم يتغير كثيرًا عما رأيته عليه آخر مرة شاهدته فيها .

نظر إليها (منير) قائلاً :

– أنت أيضًا لم تتغيرى كثيرًا عن آخر مرة تقابلنا فيها .

صافحته قائلة :

– إننى سعيدة بعودتك لزيارتنا يا بنى .. وأتمنى أن تكون الأسباب التى أدت إلى ابتعادك عنا كل هذه المدة الطويلة قد ولت وانتهت .

– طبعًا .. طبعًا .

وجاء زوج والدتها ليصافحه ويجلس معه .. لكنه همس لـ (رانيا) قائلاً :

– هل يمكن أن نجلس وحدنا قليلاً ؟

– بالطبع .

واستأذنت (رانيا) من والدتها وزوجها ليسمحا لهما بالحديث منفردين .

بينما استاءت والدتها من ذلك .. قائلة لزوجها بعد مغادرتهما للحجرة :

– ما الذى يريد أن يقوله لها على انفراد ؟

همس لها الزوج قائلاً :

– لا بد أن الأمر يتعلق بزواجها من أخيه .

قالت الأم بعصبية :

– ما زلت غير مقتنعة بالموافقة على هذا الزواج .

قال لها زوجها بغضب :

– هل سنعيد ما قلناه من قبل يا (أمينة) ؟ إن هذا الزواج لمصلحة الجميع .. فهو سيهدئ الخواطر وينهى الخلاف بين الفتاة وابنى عمها .. كما أنه يوافق رغبة جدها .. وهذا يعنى أنه لن يبخل على الفتاة بأى شىء .. ولن يحملك بأى مصاريف تجاه زواجها .. كما أنه سيضمن لها نصيبًا فى ثروته فى المستقبل .. فمن يدرى ؟ ربما أوصى لها .

قاطعته زوجته بانفعال قائلة :

– إن كل ما يهمك هو مصلحتك .

قال لها وقد ارتفعت حدة غضبه :

– مصلحتى ؟ وما هى مصلحتى فى ذلك ؟ لن يعود علىّ أى شىء من وراء المكاسب التى يمكن أن تحقق لابنتك من وراء هذا الزواج .. ولا أنتظر شيئًا من ثروة جدها .. إننى أتحدث عن مصلحة ابنتك .

قالت له الأم :

– بل كل ما يعنيك هو أن تتخلص منها .

استمر فى انفعاله قائلاً :

ـ هل يعنى زواجها من ابن عمها أننا نتخلص منها ؟ أليس هذا هو مصير كل بنت ؟

لو كانت ابنتى ، وتقدم لها شاب مناسب للزواج مثل (هشام) ، ورأيت أن مصلحتها فى هذا الزواج .. فهل يعنى هذا أننى أريد أن أتخلص منها ؟!

★ ★ ★

سألها (منير) قائلاً :

ـ لقد أخبرنى (هشام) أنكما تنويان الزواج قريبًا .

قالت له (رانيا) مبتسمة :

ـ نعم يا (منير) .. ألست سعيدًا بذلك ؟

أطرق برأسه قائلاً :

ـ بالطبع .

ـ كنت واثقة من ذلك .

ـ المهم .. هل أنت سعيدة ؟

أغمضت (رانيا) عينيها ، وقد ارتسمت ملامح السعادة على وجهها قائلة :

ـ مهما حاولت أن أصور لك يا (منير) مدى سعادتى .. فلن أستطيع أن أصفها لك .

سألها (منير) قائلاً :

ـ هل تحبين (هشام) إلى هذا الحد ؟

تورد وجهها وهى تقول له :

ـ لقد تعلقت به مشاعرى منذ أن كنا أطفالاً صغارًا .

حاول (منير) أن يرسم ابتسامة على وجهه قائلاً :

ـ مع أن هذا لم يكن يبدو واضحًا عليك من قبل .

ـ لأننى حاولت أن أخفيه دائمًا .. ولا أظهره .

ـ لماذا ؟

لأشياء عديدة لا داعى لذكرها الآن .. وأظن أنها قد انقضت .

ـ وهو .. هل يحبك ؟

ـ لم أكن أتصور أيضًا أنه يمكن أن يحبنى إلى هذا الحد الذى عبر لى عنه .

وصمتت برهة .. ثم نظرت إلى (منير) فى تساؤل :

ـ لكنك شقيقه .. ولا بد أنه قد تحدث معك فى هذا الأمر .. هل تشك فى حبه لى ؟

ـ أنا ؟ كلا بالطبع .. فقط أردت أن أطمئن على أنك تثقين بحبه لك .

ـ لا أخفى عليك يا (منير) .. إلى وقت قريب

لم أكن أثق بذلك .. فمعاملته السابقة لى .. والطريقة التى يحيا بها .. وعلاقاته التى سمعت عنها الكثير .. جعلتنى غير قادرة على الاقتناع بحبه لى ، ومترددة بشأن زواجى منه .

لكنه أخبرنى بأن كل ذلك قد انتهى إلى غير رجعة .. ووعدنى بأن يلقى بالماضى وراء ظهره .

واستطردت قائلة ، وفى عينيها نظرة قلق مفاجئ .. وكأنها تحاول أن تسمع من (منير) ما يطمئنها .

ـ هل تظن أنه سيتغير بالفعل يا (منير) ؟

ابتسم (منير) محاولاً بعث الاطمئنان فى نفسها قائلاً :

ـ مادام يحبك .. فمن المؤكد أنه سيتغير .. خاصة عندما يحظى بزوجة رائعة مثلك .

ارتسمت ملامح الارتياح على وجهها قائلة :

ـ إن كلامك يبعث الطمأنينة فى النفس .

وتهلل وجهها بالفرحة ، وهى تستطرد قائلة :

ـ أليس شيئًا جميلاً أن تزداد صداقتنا توطدًا .. خاصة بعد أن أصبح زوجة أخيك ، ولست ابنة عمك فقط ؟

نظر إليها (منير) قائلاً :

ـ سأظل دائمًا صديقك الوفى .. وطوع أمرك أيًا كانت الصلة التى تربط بيننا يا (رانيا) .

أريد أن تتأكدى من ذلك ، وأن تتذكريه دائمًا .. يمكنك أن تلجئى لى دائمًا إذا ما اعترضتك أية مشكلة فى المستقبل .. دون أن تترددى فى ذلك لحظة واحدة .

نظرت إليه (رانيا) بامتنان قائلة :

ـ أشكرك يا (منير) .

ابتسم لها (منير) قائلاً :

ـ أتمنى لك سعادة دائمة فى زواجك من أخى .

* * *



١٠ ـ لماذا تزوجتني ..

كان حفلاً مشهودًا ذلك الذى أقامه الجد فى منزله ، احتفالاً بزواج حفيدته (رانيا) من حفيده (هشام) .

وقد أصرّ الجد على أن يقام العرس في منزله ، ووافقته (رانيا) على ذلك برغم معارضة أمها .. أما (هشام) فلم يمانع .

بدا (هشام) سعيدًا وهو يتنقل بين المدعوين بعد أن أصبح هدفه قريب المنال .

أما العروس فلم تكن كذلك .. بل بدا من الواضح أنها تصطنع السعادة .. وتتظاهر بالفرحة .. وتحاول أن ترسم على وجهها ابتسامة غير حقيقية طوال الوقت .

وتعمّدت أن تستأذن للذهاب إلى إحدى حجرات المنزل لكى تصلح من زينتها .. ثم أغلقت عليها باب الحجرة .. وألقت بنفسها فوق الفراش وهى واجمة .. وقد شردت بأفكارها .

فقد حضر جدها إلى حجرتها صباح اليوم ليبارك زواجها من (هشام) قائلاً :

ـ مبروك يا (رانيا) .. لقد أردت أن أقولها لك الآن قبل أن تنشغلى بعريسك ومدعويك .. ولا يجد عجوز مثلى مكانًا بجوارك ليهنئك .

قبلته فى حنان قائلة :

ـ كيف تقول ذلك يا جدى ؟ أنت تعرف جيدًا مكانتك لدى .. ومدى حبى لك .

قال لها جدها مداعبًا :

ـ من الآن سيكون لزوجك المقبل المكانة الأولى .

ثم تنهّد وهو يردف قائلاً :

ـ على أية حال .. إننى راض بذلك .. بل سعيد به .. فهذا ما تمنيته .

قبلت (رانيا) يده قائلة فى امتنان :

ـ هل تظن أننى لا أعرف الدور الذى لعبته فى التقريب بينى وبين ابنى عمى ، بعد أن تقطعت الصلات بيننا ؟ لقد جمع اللقاء بينى وبين (هشام) هنا فى منزلك .. وبفضلك سنصبح زوجين .

إنك صاحب الفضل الأول فى زواجى من (هشام) .

ابتسم الجد قائلاً لها فى حنان :

ـ إن الفضل الأول لله (سبحانه وتعالى) .. ولحبكما

لبعضكما .. والآن دعينى أقدم لك هدية الزواج .

ـ هل أحضرت لى هدية حقًا ؟

قال لها الجد وهو يخرج إيصالاً صغيرًا من جيبه ليقدمه لها :

ـ نعم .. وها هى ذى هديتى .

نظرت (رانيا) إلى الإيصال قائلة :

ـ ما هذا ؟

ضحك الجد قائلاً :

ـ اقرئيه بنفسك .. إنه المبلغ الذى أودعته فى حسابك بالبنك .

هتفت (رانيا) وقد جحظت عيناها ، وهى تتطلع إلى الرقم المدون على الإيصال قائلة :

ـ خمسمائة ألف جنيه !!

مسح الجد بيده على شعرها قائلاً فى حنان :

ـ نعم يا بنيتى .. إن هذا المبلغ أصبح ملكك الآن .. وأنت حرة التصرف فيه .

قالت له مضطربة :

ـ ولكن .. كيف ؟ أعنى .. كيف تمنحنى مثل هذا المبلغ الضخم ؟

ـ لقد عاهدت نفسى على أن يكون هذا المبلغ من نصيبك يوم زواجك ، كما وعدت أباك قبل وفاته .

كان يريد أن يطمئن عليك .. وعلى أنك ستعيشين حياة موسرة لا تحتاجين فيها لأحد من بعده .. وقد وعدته بذلك .

ـ لكن هذه هى كل ثروتك تقريبًا .

ابتسم الجد قائلاً :

ـ إنها لن تكون أغلى لدى منك .. ثم ما حاجتى إلى المال الآن .

لقد أصبحت رجلاً عجوزًا فى المراحل الأخيرة من العمر .. ولم يعد المال يهمنى كثيرًا كما كان من قبل .. ومن الأفضل أن تستفيد منه شابة مثلك ، مازالت الحياة تتفتح أمامها .

ثم إننى لم أصبح مفلسًا تمامًا كما تتخيلين .. فمازلت أحتفظ لنفسى ببضعة آلاف تكفى حتى أودع هذه الدنيا .

أسرعت (رانيا) لتضع يدها على فمه قائلة :

ـ لا تقل هذا يا جدى !

ـ المهم أن تحافظى على مالك وعلى زوجك وأن تسعدى بهما .

احتضنته وقد بللت العبرات وجنتيها من فرط التأثر قائلة :

- يا حبيبى يا جدى ! إنك لا تعرف كم أحبك .. إنك رجل عظيم .. لم أر مثله من قبل .

وصمتت فجأة ، وقد بدت كما لو أن سؤالاً طارئًا ألح على تفكيرها .

فنظرت إلى جدها قائلة :

- هل أخبرت (هشام) شيئًا عن هذا المبلغ ؟

قال لها محاولاً تجنب نظراتها :

- كلاً .. ولكن لا بد أنك ستطلعينه على الأمر .. فهو زوجك .. و .....

قاطعته وهى تواجهه بنظراتها مرة أخرى قائلة :

- أرجوك يا جدى .. لا تخفِ عنى شيئًا .. وقل لى بأمانة ، هل أخبرت (هشام) بأنك أودعت هذا المبلغ فى حسابى ؟

سألها جدها قائلاً :

- وما الذى يهمك من ذلك ؟

- بل هو فى غاية الأهمية بالنسبة لى .. إن تاريخ إيداع المبلغ لا يتجاوز شهرًا واحدًا .. أى فى الفترة

التى التقيت فيها بأبناء عمى مرة أخرى .. أليس كذلك ؟

أطرق برأسه قائلاً :

- بلى .

- وقد أعلمت (هشام) بالأمر .. أليس كذلك ؟

قال الجد مستسلمًا :

- بلى .. فقد منحته هو وأخاه مبلغًا من المال فى نفس الوقت .

خمسين ألفًا لكل منهما .

صمتت (رانيا) مرة أخرى ، وقد سيطر عليها إحساس بالاضطراب والحيرة .

ثم ما لبثت أن غمغمت قائلة لنفسها :

- ولكن خمسين ألفًا لا تشبع نهم (هشام) .. إنها ليست مثل النصف مليون جنيه التى أمست ملكى .

أيكون هذا المبلغ هو الدافع الأساسى الذى جعل (هشام) يغير من معاملته لى ، ويلح فى الزواج منى ؟

وأغمضت عينيها وهى تحاول أن تتغلب على ذلك الخاطر الذى ألح عليها .

كانت مغمضة العينين وما زالت تستعيد التفكير فى

نلك أثناء جلوسها فى الحجرة التى أغلقت بابها عليها ، وهى مرتدية ثياب العرس .

وفجأة أحست بأن هذا الثوب يخنقها .. وأنها تريد التخلص منه .. أحست بأنها قد أخطأت لأنها وافقت على الاستمرار فى إتمام إجراءات هذا الزواج ، برغم ما عرفته من جدها .

إنها الآن غير واثقة من أن حب (هشام) لها ورغبته فى الزواج منها حقيقيان .. كان يتعين عليها أن تؤجل كل شىء .. وتعيد ترتيب أفكارها ، وتقييم مشاعرها من جديد إزاء هذا الوضع الجديد .

كان يتعين عليها ألا تسمح لهذا الزواج أن يتم قبل أن تتأكد من صدق مشاعر (هشام) نحوها .. وأنه يرغب فى الزواج منها لنفسها .. وليس بسبب الثروة التى آلت إليها .

إنها الآن تستطيع أن تجد تفسيراً أكثر دقة لذلك التغير المفاجئ فى معاملته لها .. وذلك الحب الذى نزل عليه فجأة نحوها .

إن كل ما أخبرها به عن مشاعره نحوها ، وذلك الحب الذى عرفه منذ الوهلة الأولى ، لم يكن إلا زيفاً وخداعاً .

إن اهتمامه الشديد بها .. وإلحاحه فى الزواج منها بهذه السرعة كان بسبب أنها أصبحت فتاة ثرية .

هذا هو سبب اختلاف نظرته لها .. إنه بريق المال .. وليست مشاعر الحب .

حاولت أن تتخلص من هذا الإحساس المخيف المسيطر عليها قائلة :

ـ كلا .. هذا ليس حقيقيًا .. إنه يحبنى .. نعم إن حبه لى حقيقى .. وليس بسبب الرصيد الذى أصبحت أمتلكه فى البنك .

ووجدت العبرات تنساب فوق وجنتيها برغمها دون أن تقوى على مقاومتها .. وهى تقول لنفسها :

ـ فتاة مثلى كان يتعين عليها أن تقفز فرحًا عندما تعلم بأنها قد أصبحت بين يوم وليلة تمتلك نصف مليون جنيه .. وهو مبلغ لم تكن تحلم به .. أما بالنسبة لى فإن هذا المال لم يجلب لى سوى الحزن والحيرة .

فقد بدّد المال ثقتى بحب (هشام) لى .. وحرمنى من الإحساس بقيمة الحب الحقيقى الذى ظننت أنه قد طرق بابى أخيرًا .

آه يا جدى ! ليتك لم تخبر (هشام) بهذا الأمر ..

ليتك أرجأت كل شىء لما بعد الزواج .. حتى أطمئن تمامًا على أن زواجه منى كان قائمًا على الحب ، وليس على أى شىء آخر .

لقد أصبحت تعيسة بسبب هذا المال .. وكنت أسعد حالاً بدونه .

وبينما هى مستغرقة فى هذه الحالة من الحيرة والاضطراب ، سمعت طرقًا على الباب .

وما لبثت أن سمعت صوت (منير) وهو يناديها قائلاً :

- (رانيا) .. (رانيا) .. هل أنت هنا ؟!

أجابته وهى تجفف عبراتها ، وتحاول إصلاح زينتها :

- نعم .. إننى قادمة .

وبعد لحظات فتحت الباب حيث كان (منير) واقفًا أمامه مباشرة وقد ارتسمت ملامح القلق على وجهه .

وما لبث أن سألها قائلاً :

- إن (هشام) يبحث عنك .. والكل يتساءل عن سبب مغادرتك للحفل هكذا ، وعدم ظهورك كل هذا الوقت .

قالت له وهى تحاول أن تتجنب نظراته المحدقة بها :

- لا أظن أننى قد تأخرت كثيرًا .

سألها (منير) وهو ما زال يحدجها بنظراته الفاحصة :

- (رانيا) .. هل هناك شىء ؟

قالت له وهى تحاول أن ترسم ابتسامة زائفة على وجهها :

- أبدًا .. كل ما هنالك أننى كنت أصلح من زينتى .

عاد ليسألها قائلاً :

- وهل كان الأمر يستدعى أن تغلقى الباب عليك هكذا ؟

قالت له .. وهى تتظاهر بالمرح :

- نعم .. ولو كنت فتاة لعرفت ذلك .

وتقدمته إلى الخارج قائلة :

- هيا بنا حتى لا نثير قلق المدعوين أكثر من ذلك .

لم يقتنع (منير) بإجابتها .. وأحس أن هناك شيئًا قد طرأ عليها وأفسد بهجتها بهذه الليلة التى كانت تترقبها .. لكنه لم يشأ أن يلح عليها فى السؤال .

وما إن عادت للظهور حتى أسرع بعضهم بتحيتها وتهنئتها .

بينما أسرع (هشام) إليها ليمسك بيدها قائلاً :

- (رانيا) .. أين كنت ؟

قالت له بجفاء لم تقو على إخفائه :

- ألم يخبرك أحد .. أننى كنت أصلح مكياجى ؟

ابتسم لها قائلاً :

- لقد قلقت عليك .

نظرت إليه بطرف عينيها قائلة :

- حقًا ؟

★ ★ ★

قضى الأمر ، وتم الزواج .. وغادرا منزل جدها إلى الفندق الذى تقرّر أن يقضيا فيه أسبوعًا قبل أن ينتقلا إلى شقتهما فى (الإسكندرية) .. وما إن أصبحا وحدهما فى غرفتهما حتى اقترب منها (هشام) ليقبلها .

لكنها أشاحت بوجهها بعيدًا عنه .. فنظر إليها باستغراب قائلاً :

- (رانيا) .. ماذا بك ؟

قالت له وهى تحاول أن تتجاهل نظراته المصوبة إليها :

- لا شىء .. كل ما هنالك أننى متعبة قليلاً .

اقترب منها ليقف فى مواجهتها ، وهو يمسك بذراعيها قائلاً :

- كلاً .. لا بد أن هناك شيئًا آخر .. فمنذ بداية الحفل وأنت تبدين غير طبيعية .. أريد أن أعرف سرّ تغيرك ؟

حدجته بنظرة فاحصة قائلة :

- (هشام) .. لماذا تزوجتنى ؟!

★ ★ ★



١١ ـ أقوى من ظنونى ..

نظر (هشام) بدهشة قائلاً :

ـ ما معنى هذا السؤال ؟

قالت له وهى ما زالت تتفحصه بعينيها :

ـ معناه واضح .

ـ وإجابته واضحة أيضًا .. لقد أحببتك .

ـ ولماذا ظهر هذا الحب فجأة هكذا ؟

ـ هل سنعود إلى ترديد هذه الأسئلة مرة أخرى .. وفى مثل هذه الليلة ؟

ـ أنا أقول لك الإجابة .. لأنك عرفت أننى قد أصبحت أمتلك نصف مليون جنيه أودعها جدى فى حسابى فى البنك .. أليس كذلك ؟

نظر (هشام) إليها برهة صامتًا .. ثم ما لبث أن قال لها :

ـ وما الذى سيعود على من وراء ذلك ؟ إنها نقودك .

ـ هل أنت واثق أنها لا تعنيك كثيرًا ؟

أمسك بمرفقيها بين يديه قائلاً :

ـ إن ما يعنينى هو أنت .

أحست برجفة وهى تشعر بملامسة يديه لمرفقيها .. وانصاعت لمشاعرها نحوه .. وشعرت بقوة غير مرئية تدفعها إليه .. فألقت بنفسها بين ذراعيه قائلة :

ـ (هشام) .. هل تحبنى حقًّا ؟

همس فى أذنيها قائلاً :

ـ لا بد أن تكونى واثقة من ذلك .

★ ★ ★

مر شهران على زواجهما كانت تصرفات (هشام) خلالها غير واضحة ، أو مفهومة بالنسبة لـ (رانيا) .

فتارة كان يظهر لها من المشاعر ما ينم عن حبه لها .

وتارة أخرى كانت تحس بفتور عاطفته .. وجفاء مشاعره .

وتملكها إحساس قوى بأن ما يظهره لها من مشاعر الحب مصطنع وغير حقيقى .

لقد دلتها غريزتها على ذلك برغم أنها كانت تحاول أن تنكرها .. وأن تدفع هذا الإحساس بعيدًا عنها .

وتأكدت من صدق غريزتها عندما حضر إلى المنزل ذات يوم ليتحدث إليها قائلاً :

ـ لقد فكرت فى تنفيذ مشروع استثمارى مربح سيعود بفائدة كبيرة علينا .

ـ لكن مشروعًا كهذا لا بد أنه يحتاج إلى رأس مال كبير .

ـ بالطبع .. لذا فكّرت فى أن تعاونينى فى تنفيذ هذا المشروع .

نظرت إليه متسائلة :

ـ كيف ؟

ـ إن المشروع سيتكلف مائتين وخمسين ألفًا من الجنيهات .. وطبعًا المبلغ الذى حصلت عليه من جدى سأدخل به شريكًا فى هذا المشروع .. على أن تمدينى ببقية المبلغ .. وتتركى لى أمر الإدارة .

صمتت (رانيا) برهة وهى تنظر إليه .. ثم مالبثت أن استدارت قائلة :

ـ لكنى لا أفهم شيئًا فى المشروعات .. وقد اتفقنا من قبل على أن يستقل كل منا بذمته المالية .

نظر إليها باستنكار قائلاً :

ـ ما معنى هذا ؟

قالت (رانيا) بثبات :

ـ إننى غير موافقة على الدخول فى هذا المشروع .

ـ لكنه مشروع مربح للغاية .. وسوف .....

قاطعته (رانيا) قائلة بحسم :

ـ قلت لك إننى لن أسهم فى أى مشروع .

صمت (هشام) برهة ، وهو يكتم انفعاله .. ثم مالبث أن قال :

ـ إذن أقرضينى المبلغ .

ـ أقرضك مائتى ألف جنيه ؟

ـ وما المانع فى ذلك ؟ ألست زوجتى ؟

ـ وكيف سيمكنك السداد ؟

ـ سأكتب لك شيكات بالمبلغ تسترد على أقساط .

ـ دعك من هذا .. فأنت تعلم أنه لا قيمة لهذه الشيكات .. لأننى لا يمكن أن أستخدمها ضدك .

نظر إليها بنفاد صبر قائلاً :

ـ والحل ؟

وضعت (رانيا) يدها على كتفه قائلة :

ـ دعنا لا نخلط بين علاقاتنا الزوجية ، وتلك الأمور المادية .

ابتعد عنها خطوتين ، وهو ينظر إليها فى لوم قائلاً :

ـ لم أكن أعرف أنك ستتعاملين معى هكذا .. أية علاقة زوجية تلك التى تتحدثين عنها .. وأنت لا تثقين بزوجك ولا تساعدينه لتحقيق نجاحه ؟

الزوجة الحقيقية يجب أن تساند زوجها وتساعده ، حينما يحتاج إليها .. أما أنت فإنك تتخلين عنى .. ولا تأتمنينى على نقودك .

ـ إننى لا أريد أن أشعر بأنك تستغلنى يا (هشام) .

نظر إليها بدهشة قائلاً :

ـ أستغلك ؟ كيف تقولين لى كلمة كهذه ؟

ـ أريد أن أتأكد أن زواجك منى كان مبنيًا على حب حقيقى .. وأنك لم تتزوجنى بسبب الثروة التى آلت إلىّ .

إن المال ليس هو ما يهمنى .. مائة أو مائتين أو حتى كل ما أصبحت أمتلكه من أموال .

ولكن ما يهمنى حقًا هو أن أتأكد من صدق مشاعرك نحوى ، وألا تتحقق مخاوفى بالنسبة لك .

قال لها مستنكرًا :

ـ أما زلت تفكرين بتلك الطريقة ؟

ـ أنت الذى تدفعنى إلى ذلك الآن .. فقد أخبرتنى من قبل أن هذا المال لا يعنيك فى شىء .. ومع ذلك فلم يمض شهران على زواجنا .. إلا وقد جئت تسعى وراءه .

قال لها بعصبية :

ـ إننى لم أسع وراء هذا المال لسرقته أو لأقامر به أو لأبدده على نفسى .. لقد أردت أن أساعدك فى استثمار هذا المال الراكد لديك .. وتحقيق فائدة مشتركة تعود على كلينا .

لكن ما دام هذا هو تفكيرك .. فإننى أعتذر لأننى تحدثت معك فى هذا الأمر منذ البداية .

قالت له وقد أحست بالارتباك والأسف :

ـ (هشام) .. إننى .....

قال لها منفعلاً :

ـ إنك لا تصلحين لأن تكونى زوجة .. لأن الزوجة التى لا تثق بزوجها إلى هذا الحد لا تستحق هذا الوصف .

وغادر الحجرة منفعلاً دون أن يعبأ بها وهى تناديه قائلة :

- (هشام) .. انتظر .. أرجوك لا تغضب منى .

لكنه أسرع بفتح باب المنزل ليغلقه وراءه بعنف دون أن يلتفت إليها .

★ ★ ★

تحدث إليها (منير) قائلاً :

- لو أردت نصيحتى .. إياك أن تعطيه هذا المبلغ الذى طلبه .

قالت (رانيا) :

- هذا ما قاله لى جدى أيضًا .. ولكن .....

- ولكن ماذا ؟ لا تدعيه يؤثر عليك .. إنه أخى .. وهو زوجك أيضًا .. لكن ليس من حقه أن يضغط عليك لكى تفرطى فى مالك من أجله .

قالت له وهى تشعر بالعجز عن مقاومة مشاعرها :

- لكنه زوجى .. ومن حقه على أن أساعده .

- هناك وسائل كثيرة أخرى يمكن للمرأة أن تساعد بها زوجها غير أن تعطيه من مالها .. خاصة إذا شعرت أن نواياه تجاه هذا المال غير طيبة .. وأنها تنطوى على شبهة الطمع والاستغلال .

لا الشرع ولا الدين يلزمان المرأة بأن تنفق من مالها على زوجها .. بل العكس هو الصحيح .

- لكن العلاقة بيننا قد ساءت كثيرًا منذ أن تناقشنا فى هذا الأمر .. إنه يتجنبنى دائمًا ويرفض الحديث إلى .. ومن الواضح أنه متأثر للغاية لعدم استجابتى له .

- إنه يحاول أن يؤثر عليك .. اسمعى كلامى يا (رانيا) .. أنت تعرفين مدى إعزازى لك .. فأنت لست زوجة أخى وابنة عمى فقط .. لكن الله وحده يعلم مكانتك لدى .

حافظى على مالك وعلى حياتك الزوجية مع (هشام) .. لا تفعلى شيئًا تحت ضغط أو إكراه .. حتى لو كان ضغطًا عاطفيًّا .

نظرت (رانيا) إليه وهى فى حيرة .. إنها مقتنعة بما يقوله فهو نفس رأيها .. ورأى جدها .

لكنها لا تريد للعلاقة بينها وبين (هشام) أن تسوء أكثر من ذلك .

إنها لم تعد تحتمل هجرانه لها .. كما أنها تريد أن تثبت له أنها تحبه وتثق به .

فتفكيرها فى أنـه يظن أنها تضن عليه بمالها .. وتبخل عليه بالمساعدة لعدم ثقتها به تعذبها ، وترسخ فى ذهنها أنها زوجـة غير صالحـة .. وحبيبـة غير وفية لزوجها وحبيبها .

لذا فقد قررت أن تعطيه المال الذى طلبه برغم كل الظنون والمحاذير .

★ ★ ★



١٢ ـ حساب السنين ..

تأملته وهو يرتدى ثيابه ويسوّى ربطـة عنقـه أمام المرآة .

كان يبدو وسيمًا وجذابًا كما اعتادت أن تراه دائمًا .

واسترعى انتباهه تحديقها به .. فسألها قائلاً :

ـ لماذا تنظرين إلىّ هكذا ؟

ابتسمت له وفى عينيها نظرة إعجاب واضح قائلة :

ـ إننى أحب أن أنظر إليك ، وأنت ترتدى ثيابك .

ابتسم لها بدوره قائلاً :

ـ وأنا أسعد برؤية هذه النظرة فى عينيك .

سألته قائلة :

ـ هل ستتأخر هذه الليلة ؟

أجابها :

ـ حسب الظروف .. أنت تعرفين أن هذه الحفلات مقامة خصيصًا من أجل لقاء رجال الأعمال .. وعقد الصفقات والاتفاقات .. وهذه أمور قد تأخذ وقتًا .. وتخضع للمناقشة على نحو يصعب معه تحديد متى تنتهى .

(م ٩ - زهور (٧٩) قسوة وغفران)

- إننى أشعر بحاجتى إلى وجودك معى هذه الليلة .

- لقد طلبت منك أن تأتى معى .. ولكنك لا ترغبين فى ذلك .

- أنت تعرف أننى لا أستريح لجو الحفلات هذا .

- حبيبتى .. أنت الآن زوجة لرجل أعمال مهم .. ولا بد أن تعتادى هذه الأجواء .. خاصة أننا مازلنا فى البداية .

- أظن أننى سأكون بحاجة لوقت طويل حتى أتأقلم على ذلك .

- على أية حال سأحاول ألا أتأخر عليك .

وهم بمغادرة الحجرة .. لكنها استوقفته قائلة :

- (هشام) .. ألم تنس شيئًا ؟

ابتسم لها .. ثم اقترب منها ليقبلها .. وما لبثت أن سألته بصوت هامس :

- هل تحبنى :

- مسح بيده على شعرها قائلاً :

- ألا تملين ترديد هذا السؤال ؟

- أريد أن أتأكد دائمًا من حبك لى .

- وهل يكفيك أن أقول لك هذه الكلمة لتثقى بأننى مازلت أحبك ؟

- إنها تطمئننى على الأقل .

- وإذا ما سألتك نفس السؤال ؟

- لست بحاجة للسؤال .. لأنك تعرف الإجابة جيدًا .

ابتسم قائلاً بخبث :

- ولكنى أريد أن أسمعها .

- لقد أحببتك .. وسأظل أحبك دائمـًا .. أحبك أكثر من أى شىء آخر .

★ ★ ★

لوح (هشام) بيده للفتاة الجالسة فى أحد أركان القاعة .. قبل أن يقترب منها ليجالسها قائلاً :

- أسفًا يا حبيبتى .. إذا كنت قد تأخرت عليك .

سألته الفتاة بعصبية :

- ما الذى أخرك هكذا ؟

- لقد كنت أنهى بعض الأمور التى تتعلق بالعمل .

قالت له الفتاة منفعلة :

- أى عمل ؟ لا بد أنها هى التى أخرتك .

- فلنفترض .. لا بد من ترضيتها .. فهى الدجاجة التى تبيض لنا ذهبًا .

قالت له الفتاة :

- لا تشركنى معك فى هذا الأمر .. فأنت وحدك الذى تستحوذ على هذا البيض الذهبى .

ابتسم لها قائلاً :

- كيف تقولين هذا ؟ إنك تعرفين جيدًا أننا سنكون شريكين فى النهاية .

قالت له وهى تنظر إليه بارتياب :

- وعود .. وعود .. لا أجد منك إلا الوعود والآمال الكاذبة .

قال لها محايلاً :

- الصبر يا حبيبتى .. لا بد من الصبر .

سألته قائلة :

- إلى متى أصبر ؟ لقد صبرت عليك كثيرًا .. وعدتنى بالزواج لكنك لم تنفذ وعدك حتى الآن .. بل تزوجت سواى .. وحاولت أن تقتعنى بأن هذه الزيجة ستحقق لك كل أحلامك المادية التى تتمناها .. وأنها مجرد زواج للمصلحة .. وبعدها ستشركنى معك فى حياة كالحلم الجميل .

لكن الوقت يمر ولم تفعل شيئًا .. مازلت تحيا مع هذه الزوجة التى تزوجتها .

ومازلت تبعثر نقودك فى مشروعات خاسرة .. ولم يطرأ أى جديد فى علاقتنا سوى هذه المقابلات التى تتم خلسة .. وكأننا نرتكب إحدى الجرائم .

تلفت (هشام) حوله وهو يهمس لها قائلاً :

- (سناء) .. لا ترفعى صوتك هكذا .. فقد بدأت تلفتين الأنظار إلينا .

صاحت فى وجهه قائلة :

- إننى لم أعد قادرة على تحمل هذا الوضع .. ولابد أن تحسم الأمر .. إما أن تطلقها وتتزوجنى خلال أسبوع من الآن .. وإما أن تنهى هذه العلاقة .

- أنت تعرفين أننى لا أستطيع أن أطلقها الآن .. لقد اتفقنا منذ البداية على أن تمهلينى بعض الوقت .

قالت له بحدة :

- إلى متى ؟

كانت (رانيا) واقفة على مقربة منهما .. وقد أخفت نفسها وراء الستار المدلى أمام زجاج الشرفة المجاور لمائدتهما .

فقد حاربت الإشاعات التى أخذت تتناثر عن زوجها ، وعلاقته بإحدى الفتيات .. وتردده معها على الأماكن العامة .

رفضت أن تصدق ذلك فى البداية .. بل واعتبرتها محاولة رخيصة للإيقاع بينها وبين زوجها .

إلى أن حدثتها عن ذلك إحدى صديقاتها .. واتصلت بها هاتفيًا لتخبرها عن مكان اللقاء الذى جمع بين (هشام) وتلك الفتاة .

أنكرت (رانيا) ما سمعته من صديقتها .. وأصرت على أن ما قالته لها ليس سوى مجرّد أكاذيب .

لكنها قررت فى النهاية أن تقطع الشك باليقين .. فارتدت ثيابها ، وجاءت إلى هذا المكان .. حيث صدمت برؤية زوجها الذى أخبرها بذهابه لإتمام بعض الأعمال جالسًا برفقة هذه الفتاة .

وصدمت أكثر حينما اختارت هذا المكان القريب من مائدتهما ، لتستمع إلى هذا الحوار .

لقد تحققت كل مخاوفها .. وأصبح الشك يقينًا .

أن (هشام) لم يتزوجها لأنه أحبها .. بل أنه لم يحبها مطلقًا من قبل .

لقد تزوجها من أجل المال .. والمال فقط .

ولم يردعه ضميره برغم كل ما منحته إياه من مال .. وكل ما قدمته له من حب ووفاء وإخلاص عن أن

يخونها .. ويصر على الاستمرار فى خيانتها إلى آخر قرش كانت تملكه .

إن ما رأته وسمعته كان أكبر صدمة تلقتها فى حياتها .

فالإنسان الذى أحبته من كل قلبها .. هو نفس الذى أدمى قلبها بلا شفقة أو وازع من ضمير .

عادت الفتاة لتصيح فى وجهه قائلة :

- أجبنى يا (هشام) .. إلى متى ؟

وعند ذلك برزت (رانيا) من وراء الستار .. لتقف أمام مائدتهما ، وهى تنظر إلى زوجها قائلة :

- إلى أن يستولى على ما أملكه من نقود .. ويحصل على كل البيض الذهبى .. أليس كذلك يا زوجى العزيز ؟

نظر إليها فى ذهول قائلاً :

- (رانيا) !

اندفعت (رانيا) مغادرة المكان .

بينما ظل (هشام) جالسًا فى مكانه ، وقد بدا عاجزًا عن الحراك .. وقد فغر فاه من شدة المفاجأة .

وما لبث أن نهض من مكانه حيث سألته الفتاة ، وهى تمسك بذراعه قائلة :

ـ هل ستلحق بها ؟

انتزع ذراعه من يدها ، وهو يندفع فى إثر زوجته قائلاً :

ـ لا بد أن ألحق بها !

وصل (هشام) إلى المنزل حيث كانت (رانيا) قد سبقته إليه .

وأسرع ليلحق بها فى حجرتها ، وقد همت بإغلاق الباب عليها .. لكنه حال بينها وبين ذلك .. واندفع إلى الداخل .

أشاحت بوجهها عنه وقد اغرورقت عيناها بالعبرات .

بينما اقترب منها ليضع يده على كتفها قائلاً بارتباك :

ـ (رانيا) .. أنا .. أريد أن أوضح لك الأمر .

قالت له ، وهى تعقد ذراعيها أمام صدرها :

ـ لقد أصبح كل شىء واضحًا .

ـ إن هذه الفتاة التى رأيتها .....

استدارت لمواجهته ، وهى تقاطعه قائلة بنبرة حاسمة :

ـ من فضلك .. طلقنى !

قال لها وقد اتسعت حدقتاه :

ـ ماذا تقولين ؟

قالت (رانيا) وقد انسابت العبرات فوق وجنتيها :

ـ أرجوك يا (هشام) طلقنى .. فقد انتهى كل شىء بيننا .

امتدت يده لتمسح عبراتها قائلاً بصوت حاول أن يجعله دافئًا :

ـ أرجوك أنت أن تهدئى قليلاً .. وتمنحينى الفرصة لكى أفسر لك الأمر .

قالت له وهى تبعد وجهها عن ملمس يده :

ـ إننى هادئة .. وأعى ما أقوله تمامًا .. أنا أريد الطلاق .

قال لها وقد تغيرت نبرته :

ـ أما أنا فلا أريده .. لذا فلن أطلقك .

ـ لماذا ؟ ألم يكفك ما أخذته من نقود ؟ أما زلت تطمع فى المزيد ؟

لقد أنكرت ظنونى .. وكذبت نفسى .. وأقنعت عقلى وقلبى أنك تحبنى حقًا .. وأنك قد أصبحت زوجى وحبيبى .. ومنحتك كل ما طلبته من مال .. ولم أحاول

حتى أن أتدخل فى أعمالك أو أسألك ماذا فعلت به .

بينما كنت تدبر لاستنزافى حتى آخر جنيه أمتلكه .. لتلقى بى بعد ذلك فى الشارع ، وتتخلى عنى من أجل فتاة أخرى .

لكن .. لا .. لن تحصل على قرش واحد منى بعد ذلك .. وستطلقنى الآن .

انفعل قائلاً :

ـ وأنا قلت لك إن هذا الطلاق لن تناليه .. لن تناليه حتى أقرر أنا ذلك .. وفى الوقت الذى أرى فيه أنك لم تعودى ذات نفع بالنسبة لى .

وهذا المال الذى تتحدثين عنه لم يكن فى يوم من الأيام مالك .. فأنت لم تتعبى ، ولم تكدى من أجل الحصول عليه .

نظرت إليه بازدراء قائلة :

ـ يا لك من وغد ! هيا اكشف لى المزيد عن نفسك .. إن هذا المال هو هدفك الوحيد .

قال لها بتحد :

ـ نعم .. هأنتذى قد عرفت الحقيقة .. لو أردت أن تشترى حريتك تخلى لى عن بقية رصيدك فى البنك .

قالت له بتحدٍ مماثل :

ـ حريتى سأحصل عليها سواء شئت أم أبيت .. فهناك قانون ومحاكم .. لكنى أكرر عليك ما قلته ، إنك لن تحصل منى على قرش واحد بعد الآن .

قال لها ساخرًا :

ـ إذن الجئى للقانون والمحاكم اللذين تتحدثين عنهما .. وأنا أيضًا سأبذل كل ما لدى من جهد لأحول بينك وبين هذا الطلاق الذى تسعين إليه .. وسأجعلك تندمين على أنك لم تفتدى حريتك بهذا المال الذى تدعين أنه من حقك .

ـ لو كان جدى حيًا لأعدت له ما تبقى من هذا المال لتثق بأنك لن تنال منه شيئًا .. ولقبلت يديه ورأسه لأعتذر له عما فرطت فيه من ماله لوغد لا يستحق مثلك .. وعدم سماعى لنصيحته .. فقد حذرنى من أن أعطيك هذه النقود التى سلمتها لك بيدى .

قال لها بخشونة :

ـ هذا المال ليس من حقك ولا من حق جدك .. إنه من حقى أنا وأخى .. فقد استطاع أبوك أن يستولى على كل ما كان يمتلكه أبى بالحيلة والخديعة .

وقد تزوجتك من أجل أن أسترد حقنا الذى سرقه أبوك .

هذه النقود هى حقنا الذى ضاع مضافًا إليه فوائد السنين الماضية !

★ ★ ★



١٣ - سامحينى ..

أطلق العنان لسيارته وهو فى حالة من الانفعال الشديد .

كان مضطرب الأعصاب وقد تنازعته مشاعر شتى .

لقد وضع خطته منذ البداية من أجل الاستيلاء على ذلك المال الذى آل إليها ، ظنًا منه أنه بذلك يسترد حقه الضائع الذى سلبه عمه من أبيه من قبل .

لكن هناك أشياء كثيرة لم يضعها فى الاعتبار حينما بدأ فى تنفيذ خطته هذه بالزواج منها .

فقد أصبح مع مرور الوقت فى شك مريب من صحة ادعائه بحقه فى الاستيلاء على هذا المال .

كما أن المبررات التى ساقها من أجل تنفيذ خطته الشريرة لم تعد يتقبلها ضميره بسهولة ، كما كان من قبل .

لقد عاملته بمنتهى الطيبة والإخلاص .. وكانت مثالاً للزوجة المحبة الوفية طوال الفترة التى عاشها معها .

كانت حسنة الظن به إلى أقصى مدى .. فأعطته ما طلب من نقود من أجل مساعدته ونجاحه .

ووثقت به لأنها أحبته .. وجعلت كل همها هو إسعاده .

وكان من الصعب عليه أن يقاوم انجذاب مشاعره إليها ، وهو يراها تمنحه كل هذه الثقة .. وكل هذا الحب والحنان .

لقد أصبحت مشاعره نحوها متضاربة ما بين حسابات الماضى التى تحتم عليه أن يستمر فى تنفيذ مخططه حتى النهاية ، وبين تلك العاطفة التى تسللت إليه برغمه ، وقد أخذ يسعى لمقاومتها .

فمعاشرته لها فى الفترة الأخيرة ـ وذلك الحب والحنان الذى أغدقته عليه ـ حطمت كثيرًا من أسوار الحقد والكراهية التى كانت تفصل بينهما ، وإن كانت لم تحطمها بالكامل .

لذا فعندما طالبته بأن ينفصلا فوجئ بأنه يصعب عليه تنفيذ ذلك .

ليس من أجل المال الذى كان يسعى إليه .. ولكن من أجلها هى نفسها .

لقد منحه وجودها فى حياته أشياء كثيرة كان يفتقدها .

منحه الحب .. والحنان .. والإخلاص .. والثقة التى لم يعرفها مع أى فتاة أخرى كانت فى حياته .

لذا فإن تخيل حياته بدونها يبدو فى مخيلته فكرة مؤلمة وقاسية للغاية .

لقد ساومها على الطلاق مقابل النقود .. لكنه فى شك من قدرته على تنفيذ ذلك حتى لو منحته ما طلبه .

إنه لا يدرى .. ماذا حلّ به ؟ فهو يفكر بطريقة عاطفية لم يعتدها من قبل .

وهذه الطريقة فى التفكير تخالف طبيعته وأسلوبه العملى فى تحقيق أهدافه .

إن المال والمشروعات والطموحات التى كانت تداعب خياله من قبل لم تعد تأتى فى المرتبة الأولى بالنسبة له .. فهو يشعر الآن بأنها تتساوى مع عاطفة دخيلة على حياته .. عاطفته تجاه زوجته .. التى ربما يكون قد أحبها .

بل هو يشعر أن هذه العاطفة تسبق كل تلك الأشياء

الأخرى ، وتكتسح أمامها كراهية الماضى .

لقد ذهب لمقابلة هذه الفتاة بعد إلحاح منها .. وكان قد بدأ يملها .

وكان فى الماضى يسعد بمثل هذه اللقاءات .. لكن الوضع أصبح مختلفًا بالنسبة له .. فهو يشعر بأنه مدفوع للاستمرار فى علاقة لم يعد يعبأ بها كما كان من قبل .

وأن عليه الاستمرار فى تنفيذ دور الشخص الذى يخون زوجته .. ربما ليقنع نفسه أنه ما زال ينفذ انتقامه منها بشكل ما .. وأنه لم يخضع لعاطفته نحوها بعد .

لكنه دور أصبح يستثقله ويؤديه بلا حرارة .

ثم .. ما الذنب الذى ارتكبته هى لكى يفكر فى الانتقام منها ؟

وأى حماقة تلك التى جعلت هذه الفكرة تستولى عليه وتسجنه داخل أسوارها ؟

وبينما هو مستغرق فى تفكيره .. وجد نفسه وقد انحرفت السيارة به فجأة .. وقد فقد القدرة على

السيطرة على زمامها لتصطدم بسيارة أخرى مقبلة فى الاتجاه المضاد .. وتنقلب على أحد جانبيها .

★ ★ ★

أفاق (هشام) من غيبوبته ليجد نفسه راقدًا على السرير فى المستشفى ، وقد وضعت الضمادات على رأسه ، فى حين وضع ذراعه فى الجبس ، وقد علقت برباط يتدلى من حول عنقه .

بينما كان هناك شخصان أحدهما رجل والآخر فتاة وقد ارتديا ثيابًا بيضاء توضح أن أحدهما طبيب والأخرى ممرضة .

ابتسم له الطبيب قائلاً :

ـ حمدًا لله على سلامتك .

سأله (هشام) قائلاً :

ـ أين أنا ؟

أجابه الطبيب :

ـ أنت فى المستشفى الآن .. لقد تعرضت لحادث سيارة .. ولولا العناية الإلهية .. وسرعة نقلك إلى المستشفى لكنت قد فقدت حياتك .. فقد نزفت كثيرًا ..

وكنا بحاجة إلى نقل كمية مناسبة من الدم إليك لم تكن متوافرة فى المستشفى خاصة مع ندرة فصيلتك .. لولا أن زوجتك تبرعت لك بالكمية التى تحتاج إليها .

نظر إليه (هشام) فى دهشة قائلاً :

ـ زوجتى ؟

قالت له الممرضة :

ـ نعم .. لقد عثرنا على عنوانك ورقم هاتفك فى المفكرة التى كانت موجودة فى ثيابك .. فسارعنا بالاتصال بها .. حيث حضرت على الفور ، وكانت فى حالة من الاضطراب والفزع الشديد .

عندما أخبرناها بحاجتك إلى نقل الدم ، قالت لنا إن فصيلتها من نفس فصيلتك ، وإنها مستعدة للتبرع لك بدمائها فى الحال .

وأكمل الطبيب قائلاً :

ـ يبدو أن لديك زوجة عظيمة يا أستاذ (هشام) .. فأنا لم أر زوجة فى مثل هذه الحالة من الخوف والهلع على زوجها مثلها .

على أية حال .. لقد انتهى الأمر على خير ..

وخرجت من هذا الحادث ببعض الرضوض .. وخياطة بسيطة فى الجبهة مع كسر خفيف فى الذراع .

وخلال فترة قصيرة لن يكون لكل ذلك أى أثر فيما بعد .

المهم أن يكون ذلك درسًا لك لكى تكون أكثر حذرًا فى قيادة سيارتك فى المستقبل .

سأله (هشام) قائلاً :

ـ أين زوجتى ؟

ابتسمت الممرضة قائلة :

ـ سأناديها لك .. فهى لم تبرح المستشفى منذ الليلة الماضية فى انتظار الاطمئنان عليك .

قال لها الطبيب معترضًا :

ـ لقد نبهت عليك ألا تدعيها تغادر الفراش قبل ساعتين .. فهى ما زالت مجهدة من أثر كمية الدم التى أخذناها منها .

قالت له الممرضة :

ـ لقد حاولت أن أمنعها من مغادرة فراشها .. لكنها أصرت على ذلك .. وأخبرتنى أن هناك بعض

الأمور المهمة التى يتعين عليها إتمامها .. ولا تحتمل التأخير .

وبعد قليل حضرت (رانيا) إلى الحجرة ، حيث كان (هشام) مستغرقًا فى إحساس ثقيل أكثر قسوة وإيلامًا من الإصابة التى لحقت به .

إحساسه بالذنب والندم .. إنها لم تبخل عليه بدمائها ، كما لم تبخل عليه بمالها برغم ما ارتكبه فى حقها .. وبرغم قسوته معها .

لقد جعلته يزدرى نفسه ويشعر بمدى خسته تجاه هذا الملاك الرحيم ، الذى كان يحيا معه دون أن يعرف قيمته .

اقتربت من فراشه قائلة :

ـ حمدًا لله على سلامتك .

أمسك بيديها وعيناه تنطقان بالندم قائلاً :

ـ سامحينى يا (رانيا) .. لقد أجرمت فى حقك وكنت وغدًا حقيرًا .

قالت له وهى تسحب يدها من يديه :

ـ المهم أننى قد اطمأننت عليك الآن .. وإذا كنت

تريد أن أسامحك حقًا .. فعليك أن تحقق لى ما طلبته منك من قبل .. وأن تطلقنى !

قال لها متوسلاً :

ـ لا يا (رانيا) .. لا .. لا يمكننى أن أتخلى عنك أبدًا .. خاصة بعد أن بدأت أعرف قيمتك الحقيقية .

صدقينى .. لقد اختلف كل شىء بالنسبة لى الآن .. ربما كان زواجى منك قائمًا على فكرة حمقاء سيطرت على وانقدت لها .. كنت مدفوعًا بالطمع والحقد والكراهية لتنفيذ هذه الفكرة .

لكن كل ذلك لم يعد له وجود الآن .. فقد تلاشى كل شىء ولم يعد فى قلبى نحوك سوى الحب .. حب لم أتصورّ أنه سيحدث فى حياتى يومًا ما .. ولم أعرفه من قبل .

حب غيرّ أشياء كثيرة فىّ .. لتحل محلها أشياء أخرى ، أرجو أن تمنحينى الفرصة لأثبتها لك .

إن تلك الفتاة التى رأيتها معى .. والحديث الذى سمعته يدور بينى وبينها هو من بقايا الماضى الذى انتهى بالنسبة لى الآن .

صدقينى يا (رانيا) .. لقد تغيَرت .. أصبحت شخصًا آخر .

قالت له بجفاء :

ـ بالنسبةً لى لم يتغيَر شىء .. ومازلت مصرَة على الطلاق .

قال لها وقد ازدادت نبرات صوته توسلاً :

ـ لا يا (رانيا) .. أرجوك لا تطلبى منى هذا .. لأننى لا أستطيع أن أفعله .

مدّت يدها داخل حقيبتها وهى تقول له :

ـ أنا أعرف ما الذى تريده بالضبط لكى تحقق لى ما أطلبه .

وتناولت شيكًا من داخل الحقيبة ، لتظهره له قائلة وهى توقّعه :

ـ حسن .. لقد رضخت فى النهاية .. وقررت أن أشترى حريتى منك مهما كان الثمن .

ثم ألقت بالشيك على صدره وهى تردف قائلة :

ـ هذا شيك بما تبقى من حسابى فى البنك .. حررته باسمك .. إنه ثمن طلاقى منك .

نظر إليها قائلاً :

ـ إلى هذه الدرجة ؟

قالت له بانفعال :

ـ الآن .. أرجوك أن تطلقنى بهدوء .

ـ لم أكن أظن أنك تكرهيننى إلى هذا الحد .

قالت له بإصرار :

ـ طلقنى يا (هشام) .. لقد منحتك ما تريده .. فامنحنى حريتى .

ـ ولماذا لا تمنحيننى أنت الفرصة لأثبت لك أننى قد أصبحت شخصًا مختلفًا ؟ إننى أحبك يا (رانيا) .. أحبك أكثر من أى شىء آخر .. وأريد أن أثبت لك هذا الحب .

وقام بتمزيق الشيك أمامها قائلاً :

ـ ألا يعد هذا دليلاً كافيًا ؟

قالت له بصلابة :

ـ لقد مزقت قلبى من قبل .. كما مزقت هذا الشيك الآن .. وكما أن هذا الشيك لم يعد صالحًا للاستخدام الآن .. فكذلك قلبى لم يعد صالحًا للحب الذى عرفته

معك من قبل .. لذا فلم يعد هناك جدوى من استمرارنا معًا .

وما زلت مصرة على أن ينفصل كل منا عن الآخر .

صمت برهة ليستجمع قوته .. ثم نظر إليها قائلاً :

ـ حسن يا (رانيا) .. ما دامت هذه هى رغبتك .. سأحقق لك ما تريدينه .

لكن ثقى بأن هذا لن يغيّر شيئًا من مشاعرى التى تغيّرت نحوك ، ومن الشخص الذى تغيّر على يديك .. أنت .....

قالت له سريعًا وقد انتابتها حالة من الفزع :

ـ انتظر .

وصمتت برهة قبل أن تقول :

ـ لا تقلها .

نظر إليها فى تساؤل قائلاً :

ـ لكنك كنت تلحين فى طلب الطلاق الآن .

وتهللت أساريره وهو يتطلع إليها قائلاً :

ـ هل يعنى هذا أنك ..... ؟

وفجأة دخل أخوه الحجرة قائلاً :

ـ يا أخى افهم .. وهل يمكن أن يعنى أى شىء آخر سوى هذا الذى يدور فى رأسك ؟

نظر إليه بفرحة قائلاً :

ـ (منير) .. هل تظن أنها قد غفرت لى حقًّا ؟

اقترب (منير) منها وهو ينظر إليها قائلاً :

ـ انها تحبك .. مهما حاولت التظاهر بعكس ذلك .. ومهما بالغت فى العناد .. فهى تحبك بكل ذرة فى كيانها .

والقلب الذى يحب يعرف التسامح والغفران .. أليس كذلك يا (رانيا) ؟

انخرطت فى بكاء حارّ وهمّت بمغادرة الحجرة .. لكن (منير) استوقفها وهو يمسك بمرفقها قائلاً :

ـ فلتكن هذه العبرات هى نهاية عذابك .. ومن الأفضل أن تبكى على صدر زوجك على أن تذرفى عبراتك فى أى مكان آخر .

فصدره وحده هو الذى يمكن أن يحتوى عبراتك ويمحوها ليعيد الابتسامة إلى شفتيك .

وجذبها من ذراعها إلى الفراش الذى يرقد عليه زوجها ، وقد تطلّع إليها بعينين تتدفقان حبًا وحنانًا .

وما لبثت أن ألقت برأسها على صدره .. وهى مستمرة فى بكائها .. وقد احتوى رأسها بذراعه غير المصابة .. وهو يقبل شعرها بدفء وحنان قائلاً :

ـ سامحينى يا (رانيا) .. إننى أحبك وسأعمل دائمًا على إسعادك .. وعلى أن أثبت لك هذا الحب .

قالت له من خلال عبراتها :

ـ هل يمكننى حقًا أن أثق بك هذه المرة ؟

قال لها وهو يمسح تلك العبرات التى بللت وجنتيها :

ـ سأدع الأيام .. وعمرنا القادم معًا يؤكد لك ذلك .

وانصرف (منير) من الحجرة فى هدوء دون أن يشعرا به ، ليتركهما وحدهما يستمتعان بدفء حبهما .. ويحلمان بالمستقبل الذى ينتظرهما .

مستقبل .. لا مكان فيه للحقد أو الكراهية أو الأطماع .. بل للحب والإخلاص والسعادة فقط .

★ ★ ★



زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

السلسلة الوحيدة التى لايجد الاب
او الام حرجا من وجودها بالمنزل

المؤلف



ا . شريف شوقى

قسوة وغفران

كان يحمل لها في
نفسه ميراثًا ثقيلاً من
الحقد والكراهية .. وأراد أن
يخدعها ؛ ليحقق فكرة الانتقام
التى استولت على مشاعره ..
فجرفته أمواج عاطفتها
إلى شاطئ الحب ..

79

الثمن فى مصر ١٥٠ ص
ومايعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم